المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية
قسم التفسير

قصصُ النســـــاءِ في القـــرآن الكـــريم

والدروسُ والعبرُ والأحكامُ المستفادةُ منها

اعداد الطالب
محمد بن ناصر بن خالد الحميّد

اشراف الدكتور
محمد عمـر حـويّه

عـام - ١٤١٨هـ


بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، خلق الإنسان من طين، وجعل نسله من سلالةٍ من ماء مهين، خلق فسوى وقدَّر فهدى، والصلاة والسلام على النبي المصطفى الذي أرسله الله بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون. صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً ...

أما بعد

فقد شاء الله ﷻ بحكمته أن يكون البشر من ذكرٍ وأنثى، قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَآءً** ... ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوا** ... ﴾[2]، فكل من الجنسين يكمل بعضه بعضا ولا غنى لأحدِ الجنسين عن الآخر، ولقد شرع الله ﷻ لعباده أحكاماً يسيرون عليها كي يسعدوا في دنياهم وأُخراهم وجعل منها ما هو خاصٌ بالرجال، ومنها ما هو خاصٌ بالنساء، ومنها ما هو مشتركٌ بينهما، كما أن الله تعالى رغّب عباده وأرهبهم. ومن الأساليب التي وردت في كتاب الله ﷻ للترغيب والترهيب إيراد قصص السابقين ليعتبر الناس بها ولقد كان للنساء نصيب كبير من القصص التي حواها الكتاب العزيز؛ ولأجل ذلك عزمت على جمع تلك القصص الخاصة بالنساء والوقوف عندها واستلهام الدروس والعبر واستنباط الأحكام منها ، فشرعت في عمل خطة لبحثٍ يناقش هذا الموضوع الهام لأقدمه إلى قسم التفسير بكلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية لنيل درجة العالِمِيَّة الدكتوراه ، وقد سميت هذا البحث **قصصُ النساءِ في القرآنِ الكريمِ والدروسُ والعبرُ والأحكامُ المستفادةُ منها** فأسأل الله ﷻ بجليل أسمائه وعظيم صفاته أن يوفقني في إخراج هذا البحث على الوجه اللائق به ليكونَ علماً نافعاً ودواءً ناجعاً للأمةِ عموماً وللنساءِ خصوصاً، وما توفيقي إلاَّ با للهِ عليهِ توكلتُ وإليهِ أنيب.

---

(١) سورة النساء، الآية: [١].

(٢) سورة الحجرات، الآية: [١٣].

أولاً: أسباب اختيار الموضوع

١) كون القصص أحد الجوانب التي اشتمل عليها القرآن الكريم.

٢) عناية القرآن الكريم بذكر القصص الخاصة بالنساء.

٣) إنَّ الكتب التي تحدثت عن قصص النساء في القرآن أدخلت فيها ما ليس منها وقصَّرت في استيفاء ما ورد في القرآن منها.

٤) محاولة الوقوف على الفوائد والدروس والعبر التي تؤخذ من تلك القصص، وإفادة المرأة المسلمة من ذلك.

٥) لم يسبق فيما أعلم الكتابة في هذا الموضوع كتابة مستقلة على النحو الذي قصدته في بحثي هذا.

ثانياً: أهميته

إنَّ لهذا الموضوع أهمية بالغة تتمثل في النقاط الآتية:

١) إنَّ هذا الموضوع الهام يخدم التفسير الموضوعي للقرآن الكريم.

٢) إنَّ قصص النساء في القرآن الكريم حملت في طياتها أحكاماً شرعية، وفوائد تربوية تخدم المرأة المسلمة وتعينها على السير في هذه الحياة ، والصمود أمام سهام الأعداء التي تتوالى عليها.

٣) علاقة هذا الموضوع بالمسألة الأصولية وهي: هل شرع مَنْ قبلنا شرع لنا ؟

٤) كون هذا الموضوع يبرز شخصية المرأة المؤمنة في صمودها أمام تيارات الكفر وضغوط الجبابرة كحال امرأة فرعون.

٥) معرفة الأمور الفطرية عند النساء كالحياء والعفة والغيرة وغيرها وذلك من خلال هذه الدراسة.

ثالثاً: خطة البحث

يشتمل هذا البحث على مقدمة وتمهيد وبابين وخاتمة ثم الفهارس. فأمَّا المقدمة فذكرت فيها النقاط الآتية:

أولاً: أسباب اختيار الموضوع

ثانياً: أهميته

ثالثاً: خطة البحث

رابعاً: منهجي في البحث

وأمّا التمهيد فذكرت فيه النقاط الآتية:

أولاً: تعريف القصة

ثانياً: أنواع القصص

ثالثاً: أهمية القصص

رابعاً: أغراض القصص

خامساً: القصص القرآني بين التكرار وعدمه

سادساً: الروايات الإسرائيلية والموقف منها

سابعاً: العمل بشرع من قبلنا

ثامناً: الدراسات السابقة

وأمّا الباب الأول فجعلته في قصص القريبات من النساء، وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: قصص الأمهات، وفيه ستة مباحث:

المبحث الأول: قصة أم يوسف عليه السلام

المبحث الثاني: قصة أم موسى عليه السلام

المبحث الثالث: قصة أم الغلام الكافر

المبحث الرابع: قصة امرأة عمران

المبحث الخامس: قصة مريم

المبحث السادس: قصة أم الكافر العاق

الفصل الثاني: قصص الزوجات، وفيه أحد عشر مبحثاً:

المبحث الأول: قصة حواء

المبحث الثاني: قصة امرأة نوح عليه السلام

المبحث الثالث: قصة امرأة لوط عليه السلام

المبحث الرابع: قصة امرأة إبراهيم عليه السلام

المبحث الخامس: قصة امرأة أيوب عليه السلام

المبحث السادس: قصة امرأة موسى عليه السلام

المبحث السابع: قصة امرأة زكريا عليه السلام

المبحث الثامن: قصة عائشة رضي الله عنها

المبحث التاسع: قصة زينب بنت جحش رضي الله عنها

المبحث العاشر: قصة عائشة وحفصة رضي الله عنهما

المبحث الحادي عشر: قصة المجادلة رضي الله عنها

الفصل الثالث: قصص الأخوات والبنات، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: قصة أخت موسى عليه السلام

المبحث الثاني: قصة ابنتي صالح مدين

وأمّا الباب الثاني فجعلته في قصص متفرقة في النساء، وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: قصص ذوات الجاه والسلطان، وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: قصة امرأة العزيز

المبحث الثاني: قصة امرأة فرعون

المبحث الثالث: قصة ملكة سبأ

المبحث الرابع: قصة امرأة أبي لهب

الفصل الثاني: قصص المستضعفات، وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: قصة نساء بني إسرائيل

المبحث الثاني: قصة أم الغلام مع أصحاب الأخدود

المبحث الثالث: قصة وأد البنات

المبحث الرابع: قصة المستضعفات المؤمنات بمكة

الفصل الثالث: قصة المرأة الحمقاء

ثم الخاتمة وقد ذكرت فيها نتائج البحث ويليها الفهارس وهي على النحو الآتي:

أولاً: فهرس الآيات القرآنية

ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية

ثالثاً: فهرس المصادر والمراجع

رابعاً: فهرس الموضوعات

رابعاً: منهج الكتابة في البحث

سرت في هذا البحث على الطريقة الآتية:

أولاً: قمت بجمع مادة هـذا البحـث مـن خـلال تتبعي بالاستقراء لآيـات القـرآن الكريم والاستعانة بالفهرس الموضوعي لآيـات القـرآن الكريـم لمؤلفـه محمـد فـؤاد محمـد والمعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم لمؤلفه محمد فؤاد عبدالباقي وكذلـك الكتـب التـى خصت بالكتابة عن قصص النساء في القرآن الكريم.

ثانياً: قصرت الحديث في هذا البحث على النساء اللاتي نزل القرآن قـاصداً لذكـر قصصهن، و لم أتحدث عن الآيات التى نزلت لبيانِ الحكم فقط في حادثـة وردت في سـبب النزول.

ثالثاً: جعلت تقسيم البحث بحسب القرابـة أو بحسـب المكانـة الاجتماعيـة مراعيـاً التسلسل التاريخيَّ لتلك القصص بحسب الامكان؛ فلعل ذلك يكون أكثر وضوحاً وأعظـم نفعاً للقراء عموماً وللنساء خصوصاً.

رابعاً: جعلت لكل قصة مدخلاً يناسب موضوع تلك القصة، وذكرت فيه الآيات الواردة في تلك القصة حسب ترتيبها في السور.

خامساً: بيَّنت غريب ألفاظ آيات القصـة مختـاراً بذلـك المعنـى الأجـود والأوضـح المذكور في كتب التفسير وغريب ألفاظ القرآن.

سادساً: عرَّفت بالمرأة صاحبة القصة مبيناً إن كان ذلك الاسم ثابتاً بخبرٍ صحيح في القرآن أو في السنة، أو لم يثبتَ وإنما نُقِلَ عن كتب التاريخ.

سابعاً: عرضت القصة القرآنية مقتصراً في ذلك على ما ورد في القرآن الكريم وإن كان في السنة ما هو تابع لتلك القصة القرآنية أو مبيناً لها ذكرته.

ثامناً: ذكرت الروايات والأخبار الواردة عن بعض السلف والتى نُقلت إليهـم عـن بني إسرائيل وغيرهم، واعتمدت في جمع تلـك الروايـات علـى تفسـير ابـن جريـر الطـبري والدر المنثور للسيوطي لكونهما جمعا الكثير من تلك الروايات مع الاستعانة ببعض المصادر الأخرى.

تاسعاً: نقدت تلك الروايات مبيِّناً ما هو صحيح مؤيد بالكتاب أو السـنة ومـا هـو باطل وما هو مسكوت عنه من تلك الروايات.

عاشراً: بيَّنت الأحكام المستفادة من القصة، مبيناً الدليل من آيات القصة نفسها، واجتهدت في ذكر أدلة أخرى تشهد لذلك الحكم.

الحادي عشر: بيَّنت الدروس والعبر المستفادة من القصة مع ذكر الدليل من آيات القصة نفسها، ثم اجتهدت في ذكر أدلة أخرى تشهد لذلك.

الثاني عشر: عزوت الآيات القرآنية، وما تكرر منها في الموضوع نفسه اكتفيت عن ذلك بما تقدم في مدخل القصة.

الثالث عشر: خرَّجت الأحاديث من كتب السنة وما كان منها في الصحيحين أو في أحدهما اكتفيت بتخريجها منه؛ كما أنني بيَّنت درجة تلك الأحاديث من حيث الصحة أو الضعف مستنداً إلى أقوال النقاد والمحققين.

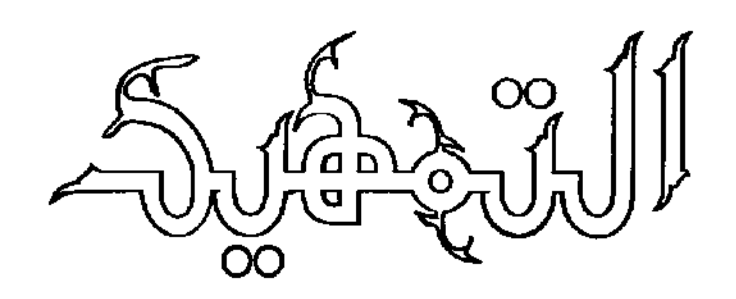
الرابع عشر: بيَّنت معاني المفردات الغريبة التي وردت في البحث وكذلك مواقع البلدان التي مرَّ ذكرها في البحث.

كلمة شكر

أشكر الله تبارك وتعالى على ما منَّ به عليَّ من إتمام هذا البحث والسير في هذا الطريق الذي هو أشرف المسالك وبه ترفع الدرجات وتُدرك أعلى الغايات وهي رضوان الله تبارك وتعالى وجنته أسأله ﷻ أن يبلغنا ذلك المقصود ثم أُسدي شكري لوالديَّ اللذين كان لهما الفضل عليَّ بعد الله تعالى. ولما كان من شكر الله تعالى شكر من أسهم معي في إخراج هذا البحث فإنني أشكر مشرفي الشيخ الدكتور محمد عمر حوية الذي أفادني بآرائه السديدة وتوجيهاته المفيدة فجزاه الله على ذلك خير الجزاء.

كما لا يفوتني أن أشكر مشرفي السابق الشيخ الدكتور أحمد بن عبدالله الزهراني الذي أخذ بيدي في وضع اللبنات الأولى لهذا البحث فنعم المؤسس ونعم المتم جزاهما الله عني خير الجزاء.

كما أشكر الجامعة الإسلامية التي رعت ثلةً من شباب الأمة لينهلوا من معينها فيصبحوا ثماراً يانعة وقدوة صالحة فجزى الله رجالها الناصحين المخلصين خير الجزاء على ما يقدمونه للأمة وشبابها. وكذلك أقدم شكري واعترافي بالجميل لأخي خالد الذي وقف معي حتى بلغت مراحل الدراسات العليا، وكذلك أشكر بناته على ما بذلنه من قراءة وكتابة فجزاهم الله خيراً كما أشكر أخي حمِّيد على ما أسداه من عون وإرشاد أثابه الله أحسن الثواب، كما أشكر زملائي وأخص منهم بالذكر الأخوة فرجَ بن فريجٍ العوفي، وحازمَ بن سعيدٍ، ومحمدَ شفاعت، ثم أختم شكري لأولئك الناس وأتوج ذلك بالشكر والعرفان لأخي ورفيقي أبو عبيدة بن يحيى بن حامد الذي لم يأل جهداً في البذل والعطاء والنصح والوفاء فله مني جزيل الشكر والثناء وأسأل الله تعالى أن يجزيه خير الجزاء على ما كان منه من تعب وعناء في الوقوف بجانبي حتى أتممت هذا البحث، والحمد لله أولاً وآخراً، وصلى الله على نبينا محمد وسلم.


التمهيد

التمهيد

أولاً: تعريف القصة

جاء في الصحاح للجوهري عند مادة (قصص) ما نصه:" قص أثرَه، أي تتبعه قال الله تعالى: ﴿ **فَارْتَدَّا عَلَى ءَاثَارِهِمَا قَصَصاً** ﴾[1]. وكذلك اقتص أثرَه، وتقصَّص أثره والقِصة الأمر والحديث. وقد اقتصَصْت الحديث رويتُه على وجهه، وقد قصّ عليه الخبر قَصَصاً والاسم أيضاً القَصَصُ بالفتح وُضِع موضع المصدر حتى صار أغلبَ عليه، والقِصص بكسر القاف جمع القِصة التي تُكتب "[2].

وذكر ابن منظور عند مادة ((قصص)) ما نصه:" والقِصة الخبر وهو القَصَصُ وقصَّ عليَّ خبره قصَّاً وقَصَصَاً: أورده والقَصَص الخبر المَقْصوص بالفتح وُضع موضع المصدر حتى صار أغلبَ عليه، والقِصص بكسر القاف جمع القِصة التي تكتب "[3].

وقال ابن فارس في ((قصّ)):" القاف والصاد أصلٌ صحيح يدل على تتبع الشيء، من ذلك قولهم اقتصصتُ الأثرَ، اذا تتَّبعْته ومن ذلك اشتقاق القصاص في الجراح، وذلك أن يُفْعَل به مثل فعله بالأول، فكأنه اقتص أثره، ومن الباب القِصة والقَصص كل ذلك يتبع فيذكر "[4].

وذكر الفيومي عند المادة نفسها ما نصه:" قصصته ((قصاً)) من باب قَتَل قطعته، وقَصَصْت الخبر من باب قَتَل أيضاً حَدَّثت به على وجهه والاسم القَصَص بفتحتين وقصصت الأثر تتبعته، ((والقصة)) الشأن والأمر يقال: ما ((قصتك)) أي ما شأنك؟ والجمع ((قِصص)) مثل سِدْرة وسِدَر "[5]، ويتلخص من هذا أنَّ القصة هي الأمر والشأن يُتّبع فيذكر وجمعها قصص.

---

(١) سورة الكهف، الآية: [٦٤].

(٢) جـ٣، ص:[١٠٥١].

(٣) لسان العرب، جـ٧، ص:[٧٤].

(٤) معجم مقاييس اللغة، جـ٥، ص:[١١].

(٥) المصباح المنير، جـ٢، ص:[٥٠٦].

ثانياً: أنواع القصص

تنقسم القصة في القرآن إلى ثلاثة أقسام:

١) قسم عن الأنبياء والرسل وما جرى لهم مع المؤمنين والكافرين.

٢) قسم عن أفراد وطوائف جرى لهم ما فيه عبرة، فنقله الله تعالى عنهم كقصة مريم، ولقمان، والذي مَرَّ على قرية وهي خاوية على عروشها، وذي القرنين، وقارون، وأصحاب الكهف، وأصحاب الأخدود وغير ذلك.

٣) قسم عن حوادث وأقوام في عهد النبي ﷺ كقصة غزوة بدر، وأُحد، والأحزاب، وبني قريظة، وبني النضير، وزيد بن حارثة، وأبي لهب وغير ذلك[1].

ثالثاً: أهمية القصص

للقصص القرآني أهمية بالغة فمن ذلك:

١) إن القصص القرآني يصور لنا في أحداثه الإيمان والكفر في نفوس الناس ويعرض نموذجاً متكرراً للقلوب المستعدة للإيمان، ونموذجاً متكرراً للقلوب المستعدة للكفر فيعرف المرء بذلك حقيقة كلا الفريقين ويستنير بذلك[2]، وقد قال تعالى: ﴿**وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ**﴾[3].

٢) قصص الأنبياء في القرآن يمثل موكب الإيمان، ويعرض قصة الدعوة إلى الله واستجابة البشرية لها جيلاً بعد جيل، كما يعرض الإيمان في نفوس هذه النخبة المختارة من البشر وطبيعة تصورهم للعلاقة بينهم وبين ربهم الذي خصهم بهذا الفضل العظيم، وتتبُّع هذا الموكب الكريم يفيض على القلب رضاً ونوراً وشفافية، ويشعر بنفاسة هذا العنصر العزيز -عنصر الإيمان- وأصالته في الوجود، ويكشف كذلك عن حقيقة التصور الايماني ويميزه في الحس من سائر التصورات الدخيلة[4].

٣) إن القصص يكشف للمؤمنين عن نهاية الطريق ويُريهم معالمه في مراحله جميعاً ويأخذ بأيديهم وينقل خُطاهم في هذا الطريق، فلقد كان هذا القصص ينزل على رسول الله

---

(١) أصول في التفسير لابن عثيمين، ص:[٤٩]، ومباحث في علوم القرآن لمنّاع القطان، ص:[٣١٧].

(٢) انظر: في ظلال القرآن، جـ٣، ص:[١٣٠٦].

(٣) سورة البلد، الآية: [١٠].

(٤) انظر: في ظلال القرآن، جـ١، ص: [٥٥].

ﷺ في مكة والقلة المؤمنة معه محصورة بين شعابها والدعوة الإسلامية مجمدة فيها والطريق شاق طويل لا يكاد المسلمون يرون له نهاية[1].

٤) تعد القصة أقدر الآثار الأدبية على تمثيل الأخلاق وتصوير العادات ورسم خلجات النفوس كما أنها -إذا شرف غرضها ونبل مقصدها وكرمت غايتها- تهذب الطباع وترقق القلوب، وتدفع الناس إلى المثل العليا من الإيمان والواجب والحق والتضحية والكرم والشرف والإيثار[2] وقد قال تعالى: ﴿ **لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ** ﴾[3].

٥) إن القصة أسلوب من أساليب التربية بجميع أنواعها تربية الروح وتربية العقل وتربية الجسد والتربية بالقدوة والتربية بالموعظة، فهي سجل حافل لجميع التوجيهات[4].

رابعاً: أغراض القصص

القصص القرآني حقيقة لا خيال قال تعالى: ﴿ **لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرَى** ﴾[5] وقال: ﴿ **نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ** ﴾[6] ولم يرد القصص القرآني لمجرد المتعة، وإنما سيق لأغراض وحكم عظيمة فمن ذلك:

١) إن قصص القرآن الكريم هو قصص لأمور واقعة، يُساق للعبر وإعطاء المثلات وبيان مكان الضالين ومنزلة المهتدين وعاقبة الضلال وعاقبة الهداية، وبيان ما يقوم به النبيون ووراءهم كل الدعاة إلى الحق[7] قال تعالى: ﴿ **لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ** ﴾[8].

---

(١) في ظلال القرآن بتصرف، جـ٤، ص: [١٩٤٨].

(٢) قصص العرب، جـ١، ص: [٣].

(٣) سورة يوسف، الآية: [١١١].

(٤) انظر: منهج التربية الإسلامية بتصرف، جـ١، ص: [١٩٤].

(٥) سورة يوسف، الآية: [١١١].

(٦) سورة الكهف، الآية: [١٣].

(٧) انظر: المعجزة الكبرى لمحمد أبو زهرة، ص: [١٦٢،١٦٣].

(٨) سورة يوسف، الآية: [١١١].

٢) إن القصة في القرآن الكريم بأسلوبها الرائع الذي تذعن له النفوس وتخشع له القلوب، وتطأطئ له الرؤوس، ذات تأثير عظيم، وتُعَدُّ أسلوباً من أساليب الدعوة إلى الله[١].

٣) شد أزر المؤمنين وتسلية لهم عما يلاقون من الهموم والمصائب وتثبيت لرسول الله ﷺ ومن تبعه من أمته وتقوية ثقة المؤمنين بنصرة الحق وجنده وخذلان الباطل وأهله[٢].
قال تعالى: ﴿ **وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَآءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ** ﴾[٣].

٤) من أغراض القصة القرآنية بيان أن الدين كله من عند الله[٤].

٥) بيان أن المؤمنين كلهم أمة واحدة والله الواحد رب الجميع. وكثيراً ما وردت قصص عدد من الأنبياء مجتمعة في سورة واحدة معروضة عرضاً سريعاً بطريقة خاصة لتؤيد هذه الحقيقة، كما في سورة الأنبياء، حيث ورد ذكر عدد من الأنبياء، ثم خاطب الله مباشرة جميع أنبيائه ورسله وأتباعهم بقوله: ﴿ **إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ** ﴾[٥] فتبين بهذه الآية الكريمة أن الأنبياء يدينون ديناً واحداً ويخضعون لرب واحد يعبدونه وحده لا يشركون به شيئاً[٦].

٦) من أغراض القصص التربوية بيان قدرة الله تعالى، بياناً يثير انفعال الدهشة والخوف من الله لتربية عاطفة الخشوع والخضوع والانقياد ونحوها من العواطف الربانية[٧].

٧) إثبات الوحي وإظهار صدق محمد ﷺ في دعوته بما أخبر به عن أحوال الماضين عبر القرون والأجيال، فإن الذي جاء بالرسالة أمي لم يقرأ الكتب حتى يأخذ منها[٨].

---

(١) نظرات في أحسن القصص لمحمد السيد الوكيل، جـ١، ص: [١١]، وانظر: القصص في الحديث النبوي د. محمد ابن حسن الزير، ص: [٤٣٥].

(٢) أصول التربية الإسلامية وأساليبها لعبدالرحمن النحلاوي، ص: [٢١٦]، مباحث في علوم القرآن لمناع القطان، ص: [٣١٨].

(٣) سورة هود، الآية: [١٢٠].

(٤) أصول التربية الإسلامية وأساليبها لعبدالرحمن النحلاوي، ص: [٢١٥].

(٥) سورة الأنبياء، الآية: [٩٢].

(٦) أصول التربية الإسلامية وأساليبها لعبدالرحمن النحلاوي، ص: [٢١٦].

(٧) أصول التربية الإسلامية وأساليبها لعبدالرحمن النحلاوي، ص: [٢١٦].

(٨) المرجع السابق، ص: [٢١٥]، وفي ظلال القرآن، جـ١، ص: [٣٩٦].

٨) تصديق الأنبياء السابقين وإحياء ذكراهم وتخليد آثارهم(١).

٩) مقارعة أهل الكتاب بالحجة فيما كتموه من البينات والهدى وتحديه لهم بما كان في كتبهم قبل التحريف والتبديل(٢) كقوله تعالى: ﴿ **كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلاًّ لِّبَنِي إِسْرَآئِيلَ إِلاَّ مَا حَرَّمَ إِسْرَآئِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ** ﴾(٣) وقال تعالى: ﴿ **إِنَّ هَذَا الْقُرْءانَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَآئِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ** ﴾(٤).

خامساً: القصص القرآني بين التكرار وعدمه

من القصص القرآنية ما لا يأتي إلاّ مرة واحدة مثل قصة يوسف عليه السلام وامرأة العزيز وقصة امرأة أبي لهب ومنها ما يأتي متكرراً مثل قصة أم موسى وأخته وقصة مريم ابنة عمران حسب ما تدعو إليه الحاجة وتقتضيه المصلحة، ولا يكون هذا المتكرر على وجه واحد، ولكل من التكرار وعدمه حكم وأسرار.

* أسرار التكرار في قصص القرآن

١) بيان أهمية تلك القصة، لأن تكرارها يدل على العناية بها(٥).

٢) ظهور صدق القرآن وأنه من عند الله تعالى حيث تأتي هذه القصص متنوعة بدون تناقض(٦).

٣) توكيد تلك القصة لتثبت في قلوب الناس(٧).

٤) إعلام المشركين بأنهم عاجزون عن الإتيان بمثل هذا القرآن، بأي نظم جاؤوا وبأي عبارة عبَّروا(٨).

---

(١) مباحث في علوم القرآن لمنّاع القطان، ص: [٣١٨].

(٢) المرجع السابق.

(٣) سورة آل عمران، الآية: [٩٣].

(٤) سورة النمل، الآية: [٧٦].

(٥) أصول في التفسير لابن عثيمين، ص: [٥٠].

(٦) المرجع السابق والصفحة نفسها.

(٧) المرجع السابق والصفحة نفسها.

(٨) انظر: أسرار التكرار في لغة القرآن د. محمود السيد شيخون، ص: [٧٧]، وانظر: مباحث في علوم القرآن لمنّاع القطان، ص: [٣١٩].

٥) بيان فصاحة القرآن وبلاغته بتكرار القصة الواحدة بألفاظٍ مختلفة[1].

٦) جذب النفوس إلى سماع القصة بتغيير أسلوبها في الطول والقصر والتقديم والتأخير؛ فإن النفس مجبولة على حب التغيير والتنقل[2].

٧) مراعاة الزمن وحال المخاطبين بها؛ ولهذا تجد الإيجاز والشدة غالباً فيما أتى من القصص في السور المكية والعكس فيما أتى في السور المدنية[3].

٨) قد يقرأ المرء بعض القرآن ويحفظ شيئاً منه فينال نصيباً من القصص القرآني في ما قرأ وحفظ، ويجد فيه العبر والمواعظ، فكان هذا سراً من أسرار تكرارها[4].

٩) إن ما يُكرر من قصص الأنبياء إنما يُكرر لإفادة إهلاك من كذبوا رسلهم والحاجة داعية إلى ذلك لتكرار تكذيب الكفار لرسول الله ﷺ؛ فكلما كذبوا أُنزلت قصة منذرة بحلول العذاب كما حل بالمكذبين[5]، ولهذا قال الله تعالى: ﴿ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ ﴾[6].

*** أسرار عدم التكرار في بعض القصص**

١) الإشارة إلى عجز العرب؛ فإنهم لن يستطيعوا أن يسوقوا قصة يوسف مثلاً بأسلوبٍ بليغ آخر على منهج القرآن في تكرار بعض القصص[7].

٢) عدم التكرار لأجل الستر كما في قصة امرأة العزيز والنسوة[8].

٣) نزول القصة بطلبٍ من الصحابة رضوان الله عليهم من الرسول ﷺ أن يبينها لهم كقصة يوسف عليه السلام فتنزل مبسوطة تامة؛ ليحصل لهم مقصود القصص من استيعاب القصة وترويح النفس والإحاطة بطرفيها[9].

---

(١) انظر: أسرار التكرار في لغة القرآن د. محمود السيد شيخون، ص: [٧٧].

(٢) انظر: المرجع السابق والصفحة نفسها، وانظر: مباحث في علوم القرآن لمنّاع القطان، ص: [٣١٨].

(٣) أصول في التفسير لابن عثيمين، ص: [٥٠]، انظر: أسرار التكرار د. محمود السيد شيخون، ص: [٧٦].

(٤) انظر: أسرار التكرار في لغة القرآن د. محمود السيد شيخون، ص: [٧٧].

(٥) المرجع السابق، ص: [٨٠].

(٦) سورة الأنفال، الآية: [٣٨].

(٧) انظر: أسرار التكرار في لغة القرآن د. محمود السيد شيخون، ص: [٧٩].

(٨) انظر: المرجع السابق.

(٩) انظر: المرجع السابق.

سادساً: الروايات الإسرائيلية والموقف منها

لقد أوردت في هذا البحث الإسرائيليات التي نقلها السلف وبيّنت الموقف منها فكان من الضروري أن أبيِّن معنى الإسرائيليات وأقسامها وماذا ينبغي علينا تجاهها؟

* تعريف الإسرائيليات

الإسرائيليات جمع إسرائيلية نسبة إلى بني إسرائيل والنسبة في مثل هذا تكون لعجز المركب الإضافي لا لصدره، وإسرائيل أي: عبدا لله وهو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام، وبنو إسرائيل هم أبناء يعقوب ومن تناسلوا منهم فيما بعد[1]، ولفظ الإسرائيليات يعم اللون اليهودي والنصراني للتفسير وما تأثر به التفسير من الثقافتين اليهودية والنصرانية، وإطلاق هذه التسمية من باب التغليب للجانب اليهودي على الجانب النصراني، فإن الجانب اليهودي هو الذي اشتهر أمره فكثر النقل عنه[2].

* أقسام الإسرائيليات

تنقسم الأخبار الإسرائيلية إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول ما يعلم صحته بأن نُقل عن النبي ﷺ نقلاً صحيحاً، أو كان له شاهد من الشرع يؤيده فهذا القسم المقبول.

القسم الثاني ما يعلم كذبه بأن يناقض ما عرفناه من شرعنا، أو كان لا يتفق مع العقل السليم وهذا القسم لا يصح قبوله ولا روايته.

القسم الثالث ما هو مسكوت عنه، وهذا القسم لا يصدق ولا يكذب، وتجوز روايته[3] لقوله ﷺ: « **لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا با لله وما أنزل إلينا** »[4].

---

(١) الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير لمحمد أبي شهبة، ص: [١٢]، وانظر: التعريف بالقرآن والحديث لمحمد الزفزاف، ص: [١٦٧].

(٢) انظر: التفسير والمفسرون للذهبي، جـ١، ص: [١٦٥].

(٣) التفسير والمفسرون للذهبي، جـ١، ص: [١٧٩]، وانظر: الإسرائيليات في التفسير والحديث للذهبي، ص: [٣٦]، وانظر: مناهل العرفان للزرقاني، جـ٢، ص: [٢٤].

(٤) صحيح البخاري مع الفتح كتاب التفسير باب (قولوا آمنا با لله وما أُنزل إلينا)، جـ٨، ص: [٢٠].

سابعاً: العمل بشرع من قبلنا

لقد تناولت عبر بحثي هذا الأحكام المستفادة من القصص وجُلّ هذه القصص كانت في الأمم السابقة، وهذا مما يدعوني إلى الكلام على هذه المسألة الأصولية: وهي هل شرع مَنْ قبلنا شرع لنا؟ للعلماء في المسألة قولان قال بعضهم: إنه شرع لنا، وقال آخرون: ليس شرعاً لنا[1]، وأنقل ها هنا طرفاً من كلام الشيخ الشنقيطي رحمه الله في المسألة حيث قال: " وحاصل ما ذكره المؤلف[2] في هذا الأصل أن فيه قولين ورجح أنه شرع لنا إن ثبت بشرعنا أنه كان شرعاً لمن قبلنا ولم ينسخ في شرعنا وهو مشهور مذهب مالك وأبي حنيفة، ومشهور مذهب الشافعي: أنه ليس شرعاً لنا، وحاصل تحرير هذه المسألة أن لها واسطة وطرفين: طرف يكون فيه شرعاً إجماعاً، وطرف يكون فيه غير شرع لنا إجماعاً، وواسطة هي محل الخلاف المذكور. أمَّا الطرف الذي يكون فيه شرعاً لنا إجماعاً فهو ما ثبت بشرعنا أنه كان شرعاً لمن قبلنا ثم ثبت بشرعنا أنه شرع لنا كالقصاص فإنه ثبت بشرعنا أنه كان شرعاً لمن قبلنا في قوله تعالى: ﴿ **وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ** ﴾[3] ثم صرح لنا في شرعنا بأنه شرع لنا في قوله تعالى: ﴿ **كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى** ﴾[4]، وأمَّا الطرف الثاني الذي يكون فيه غير شرع لنا إجماعاً فهو أمران:

أحدهما ما لم يثبت بشرعنا أصلاً كالمأخوذ من الإسرائيليات.

الثاني ما ثبت بشرعنا أنه كان شرعاً لهم وصرح في شرعنا بنسخه كالإصر[5] والأغلال[6] التي كانت عليهم كما في قوله تعالى: ﴿ **وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلَالَ**

---

(١) انظر: روضة الناظر وجنة المناظر، ص: [١٤٢-١٤٥]، شرح مختصر الروضة للطوفي، جـ٣، ص: [١٦٩-١٨٤]، المحصول في علم أصول الفقه للرازي، جـ١، ص: [٣٩٧-٤١٥].

(٢) ابن قدامة في الروضة.

(٣) سورة المائدة، الآية: [٤٥].

(٤) سورة البقرة، الآية: [١٧٨].

(٥) الإصر هو العهد الثقيل، معجم مقاييس اللغة، جـ١، ص: [١١١].

(٦) جمع غُل، وهو طوق من حديد يُجعل في العنق والمراد ما شُق عليهم من المحرمات، المصباح المنير، ص: [٤٥١]، وانظر: تأويل مشكل القرآن، ص: [١٤٨].

الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾[1] وقد ثبت في صحيح مسلم أنه ﷺ لما قرأ: ﴿ رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ﴾[2] « قال الله: قد فعلت »[3]، والواسطة هي ما ثبت بشرعنا أنه شرع لمن قبلنا ولم يصرح بنسخه في شرعنا[4]، ثم بيَّن رحمه الله أن الجمهور على أنه شرع لنا[5] وهو رأي شيخ الإسلام ابن تيمية[6] كما أنه هو الذي رجحه ابن قدامة في الروضة[7].

ثامناً: الدراسات السابقة

لقد كُتِب في هذا الموضوع عدة مؤلفات، منها ما اختصت بالحديث عن النساء في القرآن فقط، مثل كتاب « قصص النساء في القرآن الكريم » لمؤلفه جابر الشال، وكتاب « نساء نزل فيهن قرآن » عبدالعزيز الشناوي، وكتاب « النساء في القرآن الكريم » لمؤلفه عبدالمنعم عبدالراضي الهاشمي، ومنها ما تحدث عن النساء في القرآن والسنة، مثل كتاب «حسن الأسوة بما ثبت عن الله ورسوله في النسوة » لمؤلفه محمد صديق حسن خان، ومنها ما اشتمل الحديث فيها على الرجال والنساء في القرآن الكريم مثل كتاب « رجال ونساء أنزل الله فيهم قرآنا » لمؤلفه د. عبدالرحمن عميرة، وكتاب « نظرات في أحسن القصص » لمؤلفه د. محمد السيد الوكيل، ورسالة الدكتور عماد زهير حافظ في مرحلة الماجستير « بعنوان القصص القرآني بين الآباء والأبناء » إلى غير ذلك من الكتب التى حوت في طياتها ذكر قصص النساء الواردة في القرآن الكريم، مثل « قصص الأنبياء » للحافظ ابن كثير، و « تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن » لمؤلفه الشيخ عبدالرحمن السعدي، وجُلُّ هذه الكتب عُنيت بالجانب التاريخي، والبعض منها قد عُني فيه مؤلفه باستنباط الدروس والعبر مع تفاوت بعضها عن بعض في هذا الجانب، ولعلي أن

---

(١) سورة الأعراف، الآية: [١٥٧].

(٢) سورة البقرة، الآية: [٢٨٦].

(٣) صحيح مسلم كتاب الإيمان باب بيان أنه ﷺ لم يُكَلَّف إلا ما يُطاق، جـ١، ص: [١١٦].

(٤) مذكرة أصول الفقه للشنقيطي، ص: [١٦٢].

(٥) مذكرة أصول الفقه، ص: [١٦٢].

(٦) مجموع الفتاوى، جـ١٩، ص: [٧].

(٧) انظر: روضة الناظر، جـ١، ص: [٤٠١-٤٠٢].

أكون في رسالتي هذه قد وُفقت إلى المزيد من استنباط الدروس والعبر إلى جانب الأحكـام المستفادة من تلك القصص.

الباب الأول:

قصص القريبات من النساء

الفصل الأول:

قصص الأمهات

المبحث الأول:

قصة أم يوسف عليه السلام

المدخل الى القصة

قد يفقد القريب قريبه والحبيب حبيبه ولا يجد له أثراً ولا يسمع عنه خبراً مع أنه على قيد الحياة ولكن قد حيل بينهما، ثم إن الله تعالى قد يشاء اجتماعهما مرةً أخرى

قال الشاعر « مجنون بني عامر »[1]:-

وقد يجمع الله الشتيتين بعدما   يظنان كل الظن أن لا تلاقيا

وقد قص لنا القرآن الكريم حالة من تلك الحالات وهي لُقيا نبي الله يوسف بوالديه عليهم السلام بعد طول غيبة وعظيم كربة.

وقد وردت هذه القصة في موضع واحد من كتاب الله العزيز:

قال تعالى: ﴿**فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَآءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ. وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّداً وَقَالَ يَآ أَبَتِ هَـٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّاً وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ**﴾[2].

معاني مفردات آيات القصة

ءَاوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ: ضمهما إليه[3].

---

(١) انظر: ديوانه، ص: [٢٢٧].

(٢) سورة يوسف، الآية: [٩٩-١٠٠].

(٣) تفسير الطبري، جـ١٣، ص: [٦٥]، وتفسير البغوي، جـ٢، ص: [٤٥٠]، وتفسير البحر المحيط، جـ٥، ص: [٣٤٧]، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج، جـ٣، ص: [١٢٨].

ءَامِنِينَ: أي مما كنتم فيه في باديتكم من الجدب والقحط[1].

وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ: الرفع هو النقل إلى العلو ومعناه أجلسهما[2].

الْعَرْشِ: سرير الحكم[3].

وَخَرُّوا لَهُ سُجَّداً: خرَّ سقط سقوطاً يسمع منه خرير، والخرير يقال لصوت الماء والريح وغير ذلك مما يسقط من علو[4]، والمراد به في الآية أنهم وضعوا جباههم على الأرض تكريماً له[5].

هَذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ: أي ما آلت إليه رؤياي التي كنت رأيتها[6].

الْبَدْوِ: البدو مصدر من قول القائل بدا فلان، إذا صار بالبادية يبدو بدواً، والبدو ضد الحضر[7] سمي بدواً لأن سكانه بادون أي ظاهرون لكل وارد[8].

التعريف بالمرأة

لم يثبت اسم أم يوسف عليه السلام وإنما ورد في الأخبار المرويةِ عن بني إسرائيل أن اسمها راحيل وقيل: إن المرأة التي كانت مع يعقوب عليه السلام في دخوله إلى مصر هي خالة يوسف عليه السلام وإن اسمها ليًا وإن أمه قد ماتت[9]، والصحيح أن التي كانت مع يعقوب

---

(١) تفسير الطبري، جـ١٣، ص: [٦٨]، وتفسير ابن كثير، جـ٤، ص: [٣٣٥].

(٢) تفسير البغوي، جـ٢، ص: [٤٥٠]، وتفسير ابن كثير، جـ٤، ص: [٣٣٥].

(٣) انظر: تفسير الطبري، جـ١٣، ص: [٦٧]، وتفسير البغوي، جـ٢، ص: [٤٥٠]، وتفسير البحر المحيط، جـ٥، ص: [٣٤٨].

(٤) المفردات في غريب القرآن، ص: [١٤٤].

(٥) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي، ص: [١٩]، وتفسير البحر المحيط، جـ٥، ص: [٣٤٨]، وفتح القدير، جـ٣، ص: [٥٩].

(٦) تفسير الطبري، جـ١٣، ص: [٦٩].

(٧) انظر: القاموس المحيط، جـ٤، ص: [٣٠٤]، وتفسير البغوي، جـ٢، ص: [٢٥١].

(٨) التحرير والتنوير لابن عاشور، جـ١٣، ص: [٢٥٨]، وانظر: الصحاح للجوهري، جـ٦، ص: [٢٢٧٨].

(٩) تفسير الطبري، جـ١٣، ص: [٦٧]، وتفسير البغوي، جـ٢، ص: [٤٥٠]، وتفسير ابن كثير، جـ٤، ص: [٣٣٥]، والتعريف والإعلام للسهيلي، ص: [٨٢]، وتفسير البحر المحيط، جـ٥، ص: [٣٤٧].

عليه السلام هي أم يوسف كما دلّ عليه قوله تعالى: ﴿ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ ﴾ فإن المراد بالأبوين الوالدان[1].

عرض القصة

ذكر الله تعالى لنا خبر مقدم والدي يوسف وإخوته على يوسف عليه السلام بعد فراق طويل بسبب ما جرى بين يوسف وإخوته، وقد طوى القرآن الكريم ذكر سفرهم من بلادهم إلى دخولهم على يوسف عليه السلام[2]، وتقدير الكلام: فرحل يعقوب عليه السلام بأهله وساروا حتى أتوا يوسف عليه السلام [3] فلما دخلوا عليه ضم إليه أبويه واجتمع بهما خصوصاً وحدهما دون إخوته[4]، وقال لوالديه وإخوته: ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين أي اسكنوها واستقروا بها[5] آمنين على أنفسكم وأنعامكم من الجوع والهلاك فإن سني القحط كانت لا تزال باقيه[6] وكما حظي والدا يوسف عليه السلام بإيواء ابنهما البار يوسف عليه السلام كذلك أجلسهما عنده على سرير الحكم إكراماً لهما فقابله الوالدان والإخوة بالتحية وسجدوا له، وهذا السجود على سبيل التشريف لا على سبيل العبادة[7]، وتحققت بذلك رؤيا يوسف عليه السلام حيث رأى أحد عشر كوكباً والشمس والقمر يسجدون له ثم إن والديه وإخوته وأهليهم قد استقروا بعد ذلك بمصر وانتقلوا من سكنى البادية بما فيها من العناء والتعب إلى سكنى الحاضرة وما فيها من النعمة والإجتماع[8] وهذه النعمة التى نالت والدي يوسف وإخوته عليه السلام حصلت لهم بسبب انعام الله تعالى على يوسف عليه السلام والتمكين له في الأرض.

---

(١) تفسير الطبري، جـ١٣، ص: [٦٧]، وتفسير ابن كثير، جـ٤، ص: [٣٣٥].

(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور، جـ١٣، ص: [٥٥].

(٣) روح المعاني للألوسي، جـ١٣، ص: [٥٧].

(٤) قصص الأنبياء لابن كثير، ص: [٢٦٣].

(٥) انظر: المرجع السابق، وتفسير البحر المحيط، جـ٥، ص: [٣٤٧]، وروح المعاني للألوسي، جـ١٣، ص: [٥٦].

(٦) انظر: قصص الأنبياء لابن كثير، ص: [٢٦٣]، وانظر: تفسير المراغي، جـ١٣، ص: [٤٢].

(٧) انظر: تفسير الطبري، جـ١٣، ص: [٦٩]، والدر المنثور، جـ٤، ص: [٥٨٨]، وأحكام القرآن لابن العربي، جـ٣، ص: [١١٠٦].

(٨) انظر: تفسير المراغي، جـ١٣، ص: [٤٤].

الإسرائيليات

وردت في القصة أخبار عن بني إسرائيل أجملها فيما يأتي:

روى الطبري عن ابن إسحاق أن منزل يعقوب وولده بالعربات من أرض فلسطين ثغور الشام[1] وقيل: بالأولاج[2] من ناحية الشِعب، وكان صاحب بادية وإبل وشاء[3].

وروى الطبري عن السدي أن يوسف خرج يستقبل والديه ومن معهما وقال لهم: ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين[4].

وروى الطبري عن ابن عباس وابن إسحاق أيضاً أن أمه وأباه واخوانه خرّوا ساجدين ليوسف[5].

وذكر القرطبي عن الحسن أن الله تعالى أحيا له أمه تحقيقاً للرؤيا حتى سجدت له[6].

وذكر ابن كثير عن الحسن أن مدة الفراق بين يوسف وأهله ثمانون سنة، وعنه أيضاً أنها ثلاث وثمانون سنة، وعن قتادة أنها خمس وثلاثون سنة، وعن ابن اسحاق أنها ثماني عشرة سنة، وعنه أيضاً أنها أربعون سنة، فيما نقله عن أهل الكتاب[7].

---

(١) انظر: معجم البلدان للحموي، جـ٤، ص: [٩٦-٩٨]، ولعلها ما يُعرف الآن بوادي عربة وهي منطقة صحراوية بجنوب فلسطين.

(٢) جمع وَلَجة محركةً، وهي منعطف الوادي. انظر: القاموس المحيط، جـ١، ص: [٢١٩].

(٣) تفسير الطبري، جـ١٣، ص: [٧١].

(٤) انظر: تفسير الطبري، جـ١٣، ص: [٦٦]، وانظر: تفسير البغوي جـ٢، ص: [٤٥٠]، وتفسير ابن كثير، جـ٤، ص: [٣٣٤].

(٥) انظر: تفسير الطبري، جـ١٣، ص: [٦٨]، وهو مسلسل بالضعفاء عن ابن عباس من طريق عطية العوفي.

(٦) انظر: تفسير القرطبي، جـ٩، ص: [٢٦٣].

(٧) قصص الأنبياء لابن كثير، ص: [٢٦٢].

من هذه الروايات ما هو منكر، ومنها ما هو ثابت، ومنها ما هو مسكوت عنه:

فأمَّا ما روي من أن منزل يعقوب وولده بالعربات ... الخ ففي سنده محمد بن حميد الرازي وهو ضعيف[1].

وأمَّا ما روي عن السدي من خروج يوسف عليه السلام لاستقبال والديه ففي سنده سفيان بن وكيع بن الجراح كان صدوقاً إلا أنه ابتلي بوراقه، فأدخل عليه ما ليس من حديثه، ففصم فلم يقبل فسقط حديثه[2] وأيضاً ظاهر القرآن إنما يدل على أن والديه وإخوته دخلوا عليه في مكان حكمه حيث ذكر الله ما جرى عند استقباله لهم من رفع أبويه على العرش وسجود والديه وإخوته له.

وأمَّا ما روي من سجودهم له فهو حق قد دلَّ عليه قوله تعالى: ﴿ **وَخَرُّوا لَهُ سُجَّداً** ﴾.

وأمَّا ما روي من أن الله تعالى أحيا أمه لتسجد له تحقيقاً للرؤيا فقد سبق ترجيح القول بحياة أمه آنذاك[3].

وأمَّا ما روي في مدة الفراق بين يوسف وأهله فقد رجح ابن كثير رحمه الله تعالى أنها ثماني عشرة سنة حيث قال: " وظاهر السياق يرشد إلى تحديد المدة تقريباً، فإن المرأة راودته وهو شاب ابن سبع عشرة سنة، فيما قاله غير واحد، فامتنع فكان في السجن بضع سنين وهي سبع عن عكرمة وغيره ثم أُخرج، فكانت سنوات الخصب السبع، ثم لما أُمحل الناس في السبع البواقي جاء إخوته يمتارون في السنة الأولى وحدهم وفي الثانية ومعهم أخوه بنيامين وفي الثالثة تعرَّف إليهم، وأمرهم بإحضار أهلهم أجمعين فجاؤوا كلهم "[4].

---

(١) انظر: التقريب، ص: [٨٣٩]، رقم: [٥٨٧١].

(٢) انظر: التقريب، جـ٢، ص: [٣٠٨]، رقم: [٦٦].

(٣) انظر: ص: [٢١].

(٤) قصص الأنبياء لابن كثير، ص: [٢٦٢،٢٦٣].

الدروس والعبر

١) إن الفرج مع اشتداد الكرب؛ فإنه لمّا تراكمت الشدائد المتنوعة وضاق والدا يوسف عليهما السلام ذرعاً بحملها فَرَّجها فارج الهم كاشف الغم مجيب دعوة المضطرين. وهذه عوائده الجميلة خصوصاً لأوليائه وأصفيائه[1]، أخذاً من قوله: ﴿ **فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ** ... الآية ﴾.

٢) قد يُهيئُ ا لله تعالى للأحياء أن يتلاقوا ولو طال الفراق وتباعدوا في الآفاق، كما هيأ ا لله تعالى لأبوي يوسف عليه السلام اللقاء بابنهما عليه السلام، أخذاً من الدليل السابق.

٣) إن منزلة الوالدين في البرِّ أعلى من منزلة الإخوان أخذاً من إيواء يوسف عليه السلام لوالديه خصوصاً ورفعهما على العرش[2].

٤) إن الساجد محترِم لمن سجد له والمسجود له معظَّم محترَم، فدل على أن يوسف يصير معظماً محترماً عند أبويه وإخوته[3] ولا يعد قبوله السجود من أبويه عقوقاً؛ لأنه لا غضاضة عليهما منه إذ هو عادتهم[4].

٥) تكريم الأمة الإسلامية بإعطائها السلام تحية أهل الجنة بدلاً من التحية بالسجود: قال قتادة[5] رحمه ا لله: " ﴿ **وَخَرُّوا لَهُ سُجَّداً** ﴾ كانت تحية من قبلكم كان بها يحيِّي بعضهم بعضا فأعطى ا لله هذه الأمة السلام تحية أهل الجنة كرامة من ا لله تبارك وتعالى عجلها لهم ونعمة منه "[6]. والسجود منسوخ في شريعتنا[7] ففي الحديث أنه: « **لما قدم معاذ رضي الله عنه من الشام سجد للنبي صلى الله عليه وسلم قال: ما هذا يا معاذ؟ قال: أتيت الشام**

---

(١) تيسير اللطيف المنان للسعدي بتصرف يسير، ص: [١٦٢].

(٢) انظر: القصص القرآني بين الآباء والأبناء للدكتور عماد حافظ، ص: [٢٢٢].

(٣) انظر: تيسير اللطيف المنان للسعدي، ص: [١٥٥].

(٤) التحرير والتنوير لابن عاشور، جـ١٣، ص: [٥٦].

(٥) قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز السدوس الضرير الأكمه المفسِّر ثقة كان لا يسمع شيئاً إلاّ حفظه، توفي سنة ١١٨هـ. انظر تقريب التهذيب، ص: [٤٥٣]، وطبقات المفسِّرين للداودي، جـ٢، ص: [٤٧،٤٨].

(٦) تفسير الطبري، جـ١٣، ص: [٦٨].

(٧) تفسير البغوي، جـ٢، ص: [٢٥٠]، وتفسير ابن كثير، جـ٤، ص: [٣٣٥].

فوافقتهم يسجدون لأساقفتهم[1] وبطارقتهم[2] فوددت في نفسي أن نفعل ذلك بك فقال رسول الله ﷺ: فلا تفعلوا فإني لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لغير الله لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها والذي نفس محمد بيده لا تؤدي المرأة حق ربها حتى تؤدي حق زوجها ولو سألها نفسها وهي على قتبٍ[3] لم تمنعه »[4].

٦) إن الوالدين للأبناء بمنزلة الشمس والقمر في النور والنفع. ويؤخذ هذا من وجه المناسبة بين رؤيا يوسف وتعبيرها حيث إنه رأى الشمس والقمر والكواكب الأحد عشر ساجدين له. إن هذه زينة للسماء وفيها منافعها فكذلك الأبوان نور ونفع لأبنائهما؛ ولأن أباه وأمه أصل وإخوته فرع فلذلك كانت الشمس أمَّه أو أباه والقمر الآخر منهما والكواكب إخوته[5].

٧) إن نعمة الله على العبد نعمة على من يتعلق به ويتصل من أهل بيته وأقاربه وأصحابه ولا ريب أن الأم من أولى من ينتفع به؛ ولهذا لمّا تمت النعمة على يوسف عليه السلام حصل لآل يعقوب من العز والتمكين والسرور وزوال المكروه وحصول المحبوب ما ذكر الله في الآيتين[6].

٨) إن الانتقال من البادية إلى المدينة ارتقاء في الحضارة ونعمة[7] أخذاً من قول يوسف عليه السلام: ﴿ **وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ**...الآية ﴾.

---

(١) أي علماء النصارى ورؤساءهم. النهاية، جـ٢، ص: [٣٧٩].

(٢) الحُذّاق في الحرب وأمورها، وهي كلمة رومية. النهاية بتصرف، جـ١، ص: [١٣٥].

(٣) رحلٌ صغير على قدر السنام والمراد في هذا الحث لهن على مطاوعة أزواجهن. الصحاح، جـ١، ص: [١٩٨]، النهاية في غريب الحديث والأثر، جـ٤، ص: [١١].

(٤) سنن ابن ماجه، كتاب النكاح باب حق الزوج على الزوجة، جـ١، ص: [٥٩٥]، صححه الألباني، انظر: صحيح سنن ابن ماجة، جـ١، ص: [٣١٢]، مسند أحمد، جـ٤، ص: [٣٨١].

(٥) تيسير اللطيف المنان للسعدي بتصرف، ص: [١٥٥].

(٦) المرجع السابق، ص: [١٥٦].

(٧) التحرير والتنوير لابن عاشور، جـ١٣، ص: [٥٨].

المبحث الثاني:

قصة أم موسى عليه السلام

المدخل إلى القصة

لا شك أن قول الله تعالى حق ووعده صدق قال تعالى: ﴿ **وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلاً** ﴾[1] وقال تعالى: ﴿ **إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ** ﴾[2] والمؤمن مصدق بوعد الله ﷻ ولو لم يتصوره عقله ولم يتخيله فكره، فهو موقن أن قدرة الله ﷻ لا تقيدها القوانين، فهو خالقها، ويعلم أن الله على كل شيء قدير، فها هي الصدقة مثلاً في ظاهرها نقص للمال ولكن النبي ﷺ يقول: « **ما نقصت صدقة من مال** »[3] والمؤمن يرتفع بإيمانه إلى التصديق بذلك ولا يدع للعقل مجالاً في قياس ذلك بمقياسه القاصر، والقرآن الكريم يقص لنا خبر امرأةٍ مؤمنة لم تردها العاطفة عن أمر الله فتفعل أمراً في ظاهره سفهٌ وجنون ولكنه [illegible] آمن ولم يظن بالله الظنون، فبادرت مستجيبة لأمر الله وباشرت [illegible]

[illegible] كتاب الله العزيز:

[illegible] **ةً أُخْرَى. إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى. أَنِ** [illegible] **قِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ** [illegible] **عَيْنِي. إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ** [illegible] **تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلاَ تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْساً فَنَجَّيْنَاكَ** [illegible] **مِن** [illegible] **أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى**﴾[4].

(١) سورة الأنعام، الآية: [١١٥].

(٢) سورة لقمان، الآية: [٣٣].

(٣) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب استحباب العفو والتواضع، جـ٤، ص: [٢٠٠١].

(٤) سورة طه، الآية: [٣٧-٤٠].

وقال تعالى: ﴿ **وَأَوْحَيْنَآ إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلاَ تَخَافِي وَلاَ تَحْزَنِي إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ... وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغاً إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلآ أَن رَّبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ. وَقَالَتْ لأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ ... فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلاَ تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ** ﴾[1].

معاني مفردات آيات القصة

فُؤَادُ: الفؤاد القلب يقال له: فؤاد إذا اعتبر فيه معنى التفؤد أي التوقد[2].

فَارِغاً: الفراغ ضد الشغل[3]، والمراد بقوله فارغاً أي خالياً من العقل[4].

لَتُبْدِي بِهِ: بدا الشيء بدواً وبَدَاءً أي ظهر ظهوراً بيِّناً[5]، ومعنى لتبدي به أي لتظهر أمره[6].

رَّبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا: الربط على القلب إلهام الصبر وتشديده وتقويته[7].

لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ: المصدقين لوعد الله حين قال لها: ﴿ **إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ** ﴾[8].

قُصِّيهِ: اتبعي أثره[9].

---

(١) سورة القصص، الآية: [٧،١٠،١١،١٣].

(٢) انظر: المفردات للراغب بتصرف يسير، ص: [٣٨٦].

(٣) انظر: المفردات، ص: [٣٧٧].

(٤) تفسير القاسمي، جـ١٣، ص: [٤٦٩٧]، وانظر: الكشاف، جـ٣، ص: [١٦٧].

(٥) المفردات، ص: [٤٠].

(٦) تفسير القرطبي، جـ١٣، ص: [٢٥٦].

(٧) معاني القرآن وإعرابه للزجاج، جـ٤، ص: [١٣٤]، وانظر: تفسير البغوي، جـ٣، ص: [٢٣٧].

(٨) تفسير البغوي، جـ٣، ص: [٤٣٧].

(٩) تفسير الطبري، جـ٢٠، ص: [٣٨]، وانظر: المفردات، ص: [٤٠٤].

كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا: قرَّت عين فلان أي بردت وصحَّت فهو من القُرِّ بمعنى البرد، وقيل معناه أعطاه الله ما تسكن به عينه فهو من القرار[1] والمراد بالآية تطييب نفسها ولا تغتم[2].

أَوْحَيْنَآ: أي ألهمنا[3].

مَا يُوحَى: فسره قوله: ﴿ أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ ﴾ أبهمه أولاً تهويلاً له وتفخيماً لشأنه ثم فسره[4].

أَنِ اقْذِفِيهِ: أي ألقيه واطرحيه[5].

فِي التَّابُوتِ: الصندوق[6].

الْيَمِّ: البحر والمراد به النيل[7].

بِالسَّاحِلِ: بالشاطئ[8].

فَرَجَعْنَاكَ: الرجع إلى الشيء والرد إليه بمعنى، والرد عن الشيء يقتضي كراهة المردود وكان لفظ الرجع ألطف فخصَّ سورة طه به، وخصَّ سورة القصص بقوله: ﴿ فَرَدَدْنَاهُ﴾ تصديقاً لقوله: ﴿ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ ﴾[9].

---

(١) المفردات بتصرف، ص: [٣٩٨].

(٢) الكشاف، جـ٢، ص: [٥٠٧].

(٣) انظر: المفردات للراغب، ص: [٥١٥].

(٤) تفسير البحر المحيط، جـ٦، ص: [٢٤٠]، وتفسير النسفي، جـ٢، ص: [٣٥٦]، وتفسير أبي السعود، جـ٦، ص: [١٢].

(٥) تفسير النسفي، جـ٢، ص: [٣٥٦]، وإصلاح الوجوه والنظائر، ص: [٣٧٤]، والمفردات للراغب، ص: [٣٩٧]، وتفسير الجلالين، ص: [٤١٥].

(٦) تفسير الجلالين، ص: [٥٤].

(٧) المفردات للراغب، ص: [٥٥٢]، وتفسير الطبري، جـ٦، ص: [١٦١].

(٨) المفردات للراغب، ص: [٢٢٧]، وتفسير البغوي، جـ٣، ص: [٢١٧].

(٩) بصائر ذوي التمييز للفيروز ابادي، جـ١، ص: [٣١٤]، والبرهان في توجيه متشابه القرآن، ص: [١٢٦].

التعريف بالمرأة

لم يثبت اسم أم موسى وإنما ذكر أهل التاريخ أن اسمها يوحانذ[1] وقيل: يحيب[2] وقيل: يوخايذ[3] وقيل: باخته[4] وقيل: لوحا بنت هاند بن لاوى بن يعقوب[5] وقيل غير ذلك[6] وليس في معرفة اسمها مزيد فائدة ولهذا سُكت عنه.

وقد أجمع العلماء على أن أم موسى لم تكن نبية[7] واختلفوا في وحي الله لها هل كان إلهاماً أو إعلاماً؟ فذهب الجمهور إلى أن وحي الله تعالى إليها كان إلهاماً كما في قوله تعالى: ﴿ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ ... ﴾[8][9].

وقال بعضهم: كان بالإراءة مناماً[10]، وذهب البعض إلى أنه كان بإرسال الملك إليها كما بُعث إلى مريم[11].

قال الألوسي: "والظاهر أن الإيحاء إليها كان بإرسال ملك[12]".

وقال القرطبي: " وإنما إرسال الملك إليها على نحو تكليم الملك للأقرع والأبرص والأعمى، وغير ذلك مما روي من تكليم الملائكة للناس من غير نبوة[13]".

---

(١) الكامل لابن الأثير، جـ١، ص: [٩٥].

(٢) تاريخ الطبري، جـ١، ص: [٢٣١].

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق.

(٥) تفسير القرطبي، جـ١٣، ص: [٢٥٠].

(٦) راجع قصص الأنبياء لابن كثير، ص: [٢٩٩]، والتعريف والإعلام للسهيلي، ص: [١٣٠].

(٧) تفسير البحر المحيط، جـ٧، ص: [١٠٥]، وتفسير القرطبي، جـ١٣، ص: [٢٥٠].

(٨) سورة النحل، الآية: [٦٨].

(٩) تفسير القرطبي، جـ١٣، ص: [٢٥٠]، وروح المعاني للألوسي، جـ١٦، ص: [١٨٧]، وتفسير البحر المحيط، جـ٦، ص: [٢٤٠]، و جـ٧، ص: [١٠٥]، وفتح القدير، جـ٤، ص: [١٥٩]، والكشاف، جـ٢، ص: [٥٣٦].

(١٠) المصادر السابقة نفسها.

(١١) المصادر السابقة نفسها.

(١٢)روح المعاني، جـ٢، ص: [٤٥].

(١٣) تفسير القرطبي، جـ١٣، ص: [٢٥٠].

وقيل: كان على لسان نبي في وقتها كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ ... ﴾[1][2] وهذا الوجه ضعيف فقد نقل الطبري عن السلف تفسيرهم للوحي في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ ... ﴾ أنه بمعنى الإلهام[3].

والذي يترجح عندي قول القرطبي والألوسي من أنَّ الوحي إليها كان بإرسال المَلَك لقوله تعالى: ﴿ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ وقوله: ﴿ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ ﴾ فهذه الأمور تكون بمخاطبة المَلَك كما كان مع مريم وا لله أعلم.

عرض القصة

لمّا أراد ا لله تعالى أن ينقذ بني إسرائيل من ذلك الطغيان الذي عاشوا فيه حيث قال ﷻ: ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُواْ فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴾[4] هيأ لذلك الأمر أسباباً ومقدمات كان أولها إيحاء ا لله تعالى إلى أم موسى عليه السلام [5] وذلك بعد ما وضعته عليه السلام فأوحى ا لله إليها أن ترضعه، فإذا خافت عليه وضعته في صندوق ثم ألقته في البحر. وهذا التدبير من لدنه سبحانه، فهو الحكيم الخبير إذ لو كان في أي مكان بمصر فإنه يوشك أن يتوصل إليه من قبل جنود فرعون[6].

وقال الجنيد[7]: " إذا خفت حفظه بواسطة فسلميه إلينا بإلقائه في البحر واقطعي عنك شفقتك وتدبيرك "[8] وطمأنها ا لله ﷻ بقوله: ﴿ وَلاَ تَخَافِي وَلاَ تَحْزَنِي ﴾ أي:

---

(١) سورة المائدة، الآية: [١١١].

(٢) تفسير القرطبي، جـ١٣، ص: [٢٥٠]، وتفسير البحر المحيط، جـ٧، ص: [١٠٥]، والكشاف، جـ٢، ص: [٥٣٦].

(٣) تفسير الطبري، جـ٧، ص: [١٢٨].

(٤) سورة القصص، الآية: [٥].

(٥) انظر: تفسير الفخر الرازي، جـ٢٤، ص: [٢٢٧].

(٦) مع قصص السابقين في القرآن لصلاح الخالدي، ص: [٦٨].

(٧) هو الجنيد بن محمد بن الجنيد، كان خزازاً نقل عنه أنه قال: « ما أخرج ا لله إلى الأرض علماً وجعل للخلق إليه سبيلاً إلا وقد جعل لي فيه حظاً ونصيباً » كان عابداً توفي سنة ٢٩٨هـ. انظر: صفة الصفوة، جـ٢، ص: [٤١٦-٤٢٤].

(٨) تفسير البحر المحيط، جـ٧، ص: [١٠٥].

لا تخافي عليه من فرعون وجنوده أن يقتلوه ولا تحزني على فراقه[1] ووعدها ﷻ وبشرها بإرجاع ولدها إليها وأنه سيجعله رسولاً من المرسلين[2] فاستجابت لأمر الله ﷻ وأيقنت بوعده ﷻ وأقدمت على ذلك الأمر الذي أوحى الله إليها به. فلما خافت على ابنها بادرت إلى وضعه في تابوت وألقته في اليم فالتقطه آل فرعون، ولما علمت بذلك طاش عقلها وكادت تظهر ما أخفته عن آل فرعون من أن ذلك الرضيع هو ابنها، ولكن الله تبارك وتعالى ثبتها فذكرت وعد الله تعالى لها بحفظ ابنها وإرجاعه إليها فاطمأنت لوعد الله ﷻ[3]. ولما سكن روعها أنشأت تبحث عنه فأرسلت أُخته لتتبع أثره وتقصي خبره، فلما كان من أخته ما كان[4] رد الله تعالى موسى عليه السلام إلى أمه كما وعدها[5] كي تقر عينها بعودته وسلامته، ولا تحزن على فراقه، ولتعلم بالمشاهدة أن وعد الله حق[6] بقوله: ﴿ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾[7].

الإسرائيليات

وردت في القصة أخبار عن بني إسرائيل أجملُها كما يلي:

ذكر ابن كثير أن أم موسى لما حملت به عليه السلام لم يظهر عليها علامات الحمل كغيرها و لم تفطن لها القابلات ولكن لما وضعته ذكراً ضاقت به ذرعاً وخافت عليه خوفاً شديداً وأحبته حباً زائداً، فلما ضاقت به ذرعاً أُلهمت بما ذكره الله تعالى، وقد كانت دارها على حافة النيل، فاتخذت تابوتاً ومهدت فيه مهداً، وجعلت ترضع ولدها، فإذا دخل

---

(١) انظر: تفسير الطبري، جـ٢٠، ص: [٣٠].

(٢) انظر: المصدر السابق، جـ٢٠، ص: [٣١].

(٣) انظر: تفسير البغوي، جـ٣، ص: [٤٣٧]، وانظر: تفسير ابن كثير، جـ٦، ص: [٢٣٣]، وانظر: تفسير البحر المحيط، جـ٧، ص: [١٠٦]، وانظر: تفسير القاسمي، جـ١٣، ص: [٤٦٩٧].

(٤) سيأتي ذكر قصتها ص: [١٧٤].

(٥) انظر: روح المعاني للألوسي، جـ٢٠، ص: [٥٠]، وانظر: تفسير أبي السعود، جـ٦، ص: [١٦].

(٦) انظر: تفسير الطبري، جـ٢٠، ص: [٤١]، وانظر: زاد المسير لابن الجوزي، جـ٦، ص: [٢٠٦]، وحُسن الأسوة لمحمد صديق حسن خان البخاري، ص: [٣٧].

(٧) انظر: أضواء البيان، جـ٤، ص: [٤٠٩].

عليها أحد ممن تخافه جعلته في ذلك التابوت، وسيرته في البحر، وربطته بحبل عندها، فلما كان ذات يوم ذهلت أن تربطه فذهب مع الماء[1].

وذكر اليعقوبي[2] أنه لما جاء أم موسى المخاض قالت لها القابلة: إني أكتم عليك فلمّا ولدت قالت للحرس: إنما خرج منها دم وأوحى الله إلى أم موسى أن اعملي تابوتاً ثم ضعيه فيه وأخرجيه ليلاً فاطرحيه في نيل مصر، ففعلت ذلك وضربته الريح فطرحته إلى الساحل[3].

وروى ابن جرير عن ابن جريج أنها أُمرت أن تلقيه في اليم بعد ميلاده بأربعة أشهر[4] وقيل: ثلاث[5] وقيل: ثمان[6].

وروى ابن جرير عن أبي بكر بن عبدالله[7] أنها كانت ترضعه في بستان تأتيه كل يوم فترضعه وتأتيه كل ليلة فترضعه.

وذكر البغوي عن ابن عباس أنه لما جاء جنود فرعون لفّت موسى في خرقة فوضعته في التنور[8] وهو مسجور، وطاش عقلها فلم تعقل ما تصنع فدخل عليها الجنود، فإذا التنور مسجور[9] ورأوا أم موسى لم يتغير لها لون و لم يظهر لها لبن، فقالوا لها: ما أدخل عليك القابلة؟ قالت: هي مصافية لي فدخلت علي زائرة، فخرجوا من عندها فرجع

---

(١) تفسير ابن كثير، حـ٦، ص: [٢٣٢]، و حـ٥، ص: [٢٧٧-٢٧٨]، وانظر: تفسير البغوي، حـ٣، ص: [٤٣٥].

(٢) هو أحمد بن إسحاق اليعقوبي مؤرخ جغرافي مشهور توفي بعد سنة ٢٩٢هـ. انظر: معجم الأدباء، حـ٥، ص: [١٥٣،١٥٤]، والأعلام، حـ١، ص: [٩٥]، ومعجم المؤلفين، حـ١، ص: [١٦١].

(٣) تاريخ اليعقوبي، حـ١، ص: [٣٣].

(٤) انظر: تفسير الطبري، حـ٢٠، ص: [٣٠]، وإسناده ضعيف ففيه الحسين بن داود المصيصي ضعيف مع إمامته ومعرفته، لكونه كان يُلقِّن حجاج بن محمد شيخه. انظر: التقريب، حـ١، ص: [٣٣٥]، رقم: [٥٤٣].

(٥) تفسير البغوي، حـ٣، ص: [٤٣٤].

(٦) المصدر السابق، حـ٣، ص: [٤٣٤].

(٧) تفسير الطبري، حـ٢٠، ص: [٣٠].

(٨) الذي يُخبز فيه. مختار الصحاح، ص: [٧٩].

(٩) سجر التنور أي أحماه. مختار الصحاح، ص: [٢٨٧].

إليها عقلها فقالت لأخت موسى: فأين الصبي؟ قالت: لا أدري فسمعت بكاء الصبي من التنور فانطلقت إليه، وقد جعل الله ﷻ النار عليه برداً وسلاماً فاحتملته[1].

نقد الاسرائليات

من هذه الاسرائيليات ما هو ثابت، ومنها ما هو منكر مردود، ومنها ما هو مسكوت عنه:

فأمَّا ما روي من أنها خافت على ابنها فمصداقه قول الله تعالى: ﴿ **فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ** ﴾.

وأمَّا ما ذكر من إلهام الله تعالى لها فقد سبق الترجيح بأنه أوحي إليها بإرسال المَلَك[2]، فيصدقه قوله تعالى: ﴿ **وَأَوْحَيْنَآ إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ** ﴾.

وأمَّا ما روي من أنها كانت إذا خافت عليه وضعته في التابوت وربطت التابوت بحبل وألقته في اليم فمردود لأنه مخالف لقوله ﷻ: ﴿ **أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ** ... الآية ﴾، فظاهر هذا أنها أُمرت بإلقائه والتخلي عنه وإيكال أمره إلى الله ﷻ الذي وعدها بإرجاعه إليها.

وأمَّا الخلاف في زمن إلقائه وحصول الخوف عليه: هل كان بعد ولادته بأربعة أشهر أو ثلاث أو ثمان؟ فلا دليل يعين أي ذلك كان والمهم أنها امتثلت ما أمرها الله به[3].

وأمَّا ما ذكر من أنها لما خافت عليه وضعته في التنور وهو موقد وأن النار كانت برداً وسلاماً عليه فلا يصح سنداً ولا متناً لأنه خلافُ ما أمرها الله ﷻ به من إلقائه في اليم عند خوفها عليه ثم إنه لو كان صحيحاً لذكره الله ﷻ في جملة ما امتنَّ الله به على موسى عليه السلام لأنه يكون حينئذٍ معجزةً لموسى عليه السلام.

---

(١) انظر: تفسير البغوي، جـ٣، ص: [٤٣٥]، ولم أقف على إسناده ولا يُتصور وروده عن ابن عباس لمخالفته لنص القرآن.

(٢) انظر: ص: [٣٢،٣٣].

(٣) انظر: تفسير الطبري، جـ٢٠، ص: [٣٠].

وأمَّا ما ذكر من أنها لم يتغير لها لون عندما دخل عليها جنود فرعون فبعيد؛ لأن الله تعالى ذكر حالها عند فراق ابنها بقوله: ﴿ **وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغاً إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ** ﴾.

وأمَّا ما روي أنها كانت ترضعه في بستان فغير صحيح؛ لأنه ضعيف[1] السند خلاف ما أمرها الله به حيث إن الله تعالى أمرها إذا خافت عليه فلتلقه في اليم.

وأمَّا ما سوى ذلك من الروايات فلا أعلم ما يثبته أو ينفيه فالظاهر أنه لا بأس من ذكره والله تعالى أعلم.

الأحكام المستفادة من القصة

١) وجوب الأخذ بالأسباب أخذاً من قوله تعالى: ﴿ **أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ** ﴾، وقوله تعالى: ﴿ **فَأَوْحَيْنَآ إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ** ﴾[2].

٢) لا بأس بالخوف الطبيعي؛ فإنه لا ينافي الإيمان أخذاً من قوله تعالى: ﴿ **وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغاً** ﴾[3].

الدروس والعبر

١) إنَّ ألطاف الله ومعيته لأوليائه لاتتصورها العقول، أخذاً مما حصل من الألطاف الربانية بأم موسى وابنها[4].

٢) إن عاطفة الأمومة أقوى العواطف البشرية أخذاً من بيان الله لحال أم موسى عند فراقه[5].

---

(١) ففيه الحسين بن داود المصيصي ضعيف كما سبق ص: [٣٥].

(٢) سورة الشعراء، الآية: [٦٣].

(٣) تيسير اللطيف المنان للسعدي، ص: [١٣٠].

(٤) تيسير اللطيف المنان للسعدي، ص: [١٣٠-١٣٦]، وأيسر التفاسير للجزائري، جـ٣، ص: [٣٨٤].

(٥) انظر: أيسر التفاسير للجزائري، جـ٣، ص: [٣٨٤].

٣) عناية الله بأوليائه حيث ربط على قلب ام موسى فصبرت و لم تبده لهم وتقول: هو ولدي ليمضي وعد الله كما أخبرها[١].

قال الشاعر[٢]:

وإذا العناية لاحظتك عيونها نم فالمخاوف كلهن أمان

٤) إن من أعظم نعم الله على العبد تثبيت الله له عند المقلقات والمخاوف[٣] أخذاً من تثبيت الله ﷻ لأم موسى، وكما ثبّت الله تعالى رسوله ﷺ وصاحبه في الغار قال تعالى: ﴿ ... **إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا** ... الآية ﴾[٤]، وقال تعالى في تثبيت المؤمنين يوم حنين: ﴿ ... **وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ. ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُوداً لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَذَلِكَ جَزَآءُ الْكَافِرِينَ**﴾[٥].

٥) زيادة الإيمان والثواب في الصبر والثبات عند المخاوف والمقلقات[٦] أخذاً من قوله: ﴿ **لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾[٧].

---

(١) أيسر التفاسير للجزائري، جـ٣، ص: [٣٨٤].

(٢) ابن مكنسة الاسكندري في وفيات الأعيان، جـ٣، ص: [١٦١].

(٣) تيسير اللطيف المنان للسعدي، ص: [١٣١].

(٤) سورة التوبة، الآية: [٤٠].

(٥) سورة التوبة، الآية: [٢٥،٢٦].

(٦) انظر: تيسير اللطيف المنان للسعدي، ص: [١٣١]، وتيسير الكريم الرحمن للسعدي، جـ٤، ص: [٩].

(٧) سورة القصص، الآية: [١٠].

٦) إن الإيمان يزيد وينقص[١] أخذاً من قوله عن أم موسى: ﴿ لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾، وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً ﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾[٣].

٧) إن من ثمرات الصبر عند المخاوف صواب القول وثبات الفكر والرأي[٤] أخذاً من قوله تعالى: ﴿ إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ ﴾[٥] فإنها لم تظهر أنه ابنها وشرعت في البحث عنه.

٨) إن العبد وإن عرف أنّ القضاء والقدر حق ، وأن وعد الله نافذ لا بد منه- ينبغي له ألا يهمل فعل الأسباب التى تنفع؛ فإن الأسباب والسعي فيها من قدر الله؛ فإن الله قد وعد أم موسى أن يرده عليها، ومع ذلك لما التقطه آل فرعون سعت بالأسباب وأرسلت أخته لتقصه[٦].

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: " إن كان السبب مأموراً به ذُمَّ على تركه، وإن قام بالسبب وترك التوكل ذُمَّ على تركه أيضاً فإنه واجب باتفاق الأمة ونص القرآن، والواجب القيام بهما والجمع بينهما[٧] "

وقال: " فإن التوكل من أقوى الأسباب في حصول المراد ودفع المكروه بل هو أقوى الأسباب على الاطلاق[٨] "

---

(١) تيسير اللطيف المنان للسعدي، ص: [١٣١]، وانظر: كتاب الإيمان لشيخ الإسلام ابن تيمية، ص: [١٦٤- ١٦٦].

(٢) سورة الأنفال، الآية: [٢].

(٣) سورة التوبة، الآية: [١٢٤].

(٤) انظر: تيسير اللطيف المنان للسعدي، ص: [١٣١].

(٥) سورة القصص، الآية: [١٠].

(٦) المرجع السابق.

(٧) الفوائد لابن القيم، ص: [١١٣].

(٨) المصدر السابق.

وقال: " والذي يحقق التوكل القيام بالأسباب المأمور بها فمن عطلها لم يصح توكله كما أن القيام بالأسباب المفضية إلى حصول الخير يحقق رجاءه، فمن لم يقم بها كان رجاؤه تمنياً، كما أن من عطلها يكون توكله عجزاً وعجزه توكلاً[1] ".

(١) الفوائد لابن القيم، ص: [١١٣].

المبحث الثالث:

قصة أم الغلام الكافر

المدخل إلى القصة

ورد في قصة موسى مع الخضر عليهما السلام قصة المرأة المؤمنة وزوجها المؤمن وما حلَّ بولدهما من قتل الخضر عليه السلام له بسبب كفره.

وقد ورد ذلك في موضع واحد من كتاب الله العزيز:

قال تعالى: ﴿ **وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَاناً وَكُفْراً. فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْراً مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْماً** ﴾[1].

معاني مفردات آيات القصة

أَبَوَاهُ: المراد أبوه وأمه ثني تغليباً من باب القمرين في القمر والشمس[2].

فَخَشِينَآ: الخشية خوف يشوبه تعظيم، وأكثر ما يكون ذلك عن علم بما يخشى منه[3]، والمراد بقوله فخشينا أي فعلمنا[4].

يُرْهِقَهُمَا: رهق: رَهِقه الأمر غشيه بقهر[5] والمراد يحملهما على دينه[6].

رَبُّهُمَا: الرب من أسماء الله تعالى وإضافة الربوبية إليهما فيه ما لا يخفى من الدلالة على إرادة وصول الخير إليهما[7].

---

(١) سورة الكهف، الآية: [٨٠-٨١].

(٢) انظر: تفسير البحر المحيط، جـ٦، ص: [١٥٥].

(٣) المفردات للراغب، ص: [١٤٩].

(٤) انظر: تفسير الطبري، جـ١٦، ص: [٣].

(٥) المفردات للراغب، ص: [٢٠٤]، وانظر: تفسير الطبري، جـ١٦، ص: [٢].

(٦) تذكرة الأريب لابن الجوزي، جـ١، ص: [٣٢٢]، وانظر: معاني القرآن للزجاج، جـ٣، ص: [٣٠٥].

(٧) تفسير أبي السعود بتصرف، جـ٥، ص: [٢٣٨].

زَكَاةً: الزكاة بمعنى النماء والطهارة[1] والمراد صلاحاً وتقوى[2].

وَأَقْرَبَ رُحْماً: والرحم مصدر رَحِمْتُ يقال: رَحِمته رَحْمة ورُحْماً والمعنى: أقرب من المقتول أن يرحم والديه فيبرهما[3].

التعريف بالمرأة

لم يثبت اسمها بالقرآن الكريم ولا في السنة وإنما ذكر المؤرخون أن اسمها رحما وقيل سهوى[4] وليس في معرفته مزيد فائدة، ولو كان هناك داعٍ لبيانه لما أغفله القرآن أو السنة.

عرض القصة

ابتلى الله تعالى هذين الزوجين المؤمنين بولدٍ كافر ظالم، كما بيَّن ذلك ابن عباس رضي الله عنهما في قراءته للآية حيث قرأها: ﴿ **وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ كَافِراً** ﴾[5]، وكما بيَّنه النبي ﷺ: ((**وأما الغلام فطبع يوم طبع كافراً**))[6]، وكذلك ابتلى الله تعالى هذين الأبوين بقتل ابنهما قال تعالى: ﴿ **فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَاماً فَقَتَلَهُ** ﴾[7] ويبين لنا القرآن الكريم سبب قتله على يد الخضر عليه السلام بقوله تعالى: ﴿ **فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَاناً وَكُفْراً** ﴾[8] وقال ﷺ: ((**وكان أبواه قد عطفا عليه فلو أنه أدرك أرهقهما طغياناً وكفراً**))[9] فكان قتله خيراً لوالديه من بقائه؛ لأنه لو بقي لحمل والديه على الكفر لحبهما

---

(١) معجم مقاييس اللغة، جـ٣، ص: [١٧]، وانظر: المصباح المنير، ص: [٢٥٤].

(٢) تفسير الطبري، جـ١٦، ص: [٤]، وتفسير البغوي، جـ٣، ص: [١٧٦].

(٣) تفسير الطبري، جـ١٦، ص: [٤].

(٤) التعريف والاعلام للسهيلي، ص: [١٠٥]، وفتح الباري، جـ٨، ص: [٢٧٤].

(٥) صحيح البخاري مع الفتح كتاب أحاديث الأنبياء باب حديث الخضر مع موسى عليهما السلام، جـ٦، ص: [٤٩٩]، وهي قراءة تفسيرية .

(٦) صحيح مسلم كتاب الفضائل باب من فضائل الخضر عليه السلام، جـ٤، ص: [١٨٥٢].

(٧) سورة الكهف، الآية: [٧٤].

(٨) سورة الكهف، الآية: [٨٠].

(٩) صحيح مسلم كتاب الفضائل باب من فضائل الخضر عليه السلام، جـ٤، ص: [١٨٥٢].

له فيضلا ويرتدا، أو أنه لو بقي لطغى عليهما بعقوقه وسوء معاملته[1]، فأراد الخضر عليه السلام بقتله أن يبدلهما الله ولداً صالحاً باراً بوالديه، فيكون لهما خيراً من ذلك المقتول، كما نصت على ذلك الآية.

الإسرائيليات

ورد في القصة أخبار عن بني إسرائيل أجملها فيما يأتي:

عن الربيع بن أنس أن الغلام كان ظالماً يقف على الطريق فلا يمر به أحدٌ إلاَّ قتله أو غصبه فيدعو المظلوم عليه وعلى والديه، فعصم الله والديه بقتله من أن يدعو عليهما أحد[2].

وعن عطاء بن السائب أن والدي الغلام كانا يذبان عنه من يطلبه من المظلومين ويقسمان على براءته[3].

وروى الطبري عن ابن جريج أن أم الغلام كانت عند قتله حُبلى بغلام مسلم[4].

وعن ابن عباس أن أم الغلام أنجبت جارية ولدت عدة أنبياء[5] وقيل: إن الجارية ولدت سبعين نبياً[6].

نقد الإسرائيليات

من هذه الروايات ما هو منكر، ومنها ما هو مسكوت عنه:

فأمَّا ما روي من ذب الوالدين عن ولدهما مع كونه ظالماً والحلف على براءته فلا يليق بهذين الأبوين الموصوفين بالإيمان؛ إذ إن المؤمن لا يرضى بالظلم ولو كان واقعاً من

---

(١) انظر: تفسير الطبري، جـ١٦، ص: [٣]؛ وتفسير البحر المحيط، جـ٦، ص: [١٥٥].

(٢) انظر: الدر المنثور، جـ٥، ص: [٤٣٠-٤٣١]، وزاد المسير، جـ٥، ص: [١٧٩].

(٣) زاد المسير، جـ٥، ص: [١٧٩].

(٤) تفسير الطبري، جـ١٦، ص: [٤]، وانظر: فتح الباري، جـ٨، ص: [٢٧٥].

(٥) فتح الباري، جـ٨، ص: [٢٧٥].

(٦) المصدر السابق.

أقرب الناس إليه كما قال تعالى: ﴿ يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ ... ﴾[1].

وأمَّا ما ذكر أن قتل الغلام كان صيانةً للوالدين من أن يدعو عليهما أحد من أولئك المظلومين فهذا غير صحيح؛ لأن الله تعالى يستجيب دعاء المظلوم إذا دعا على من ظلمه، والظلم إنما حصل من قبل الولد، ولا تبعة على الوالدين في ذلك إذا انحرف الولد عن الطريق المستقيم بعد ما ربياه عليه، قال الله تعالى: ﴿ يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ... ﴾[2] وقال: ﴿ ... وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ... ﴾[3] ثم إن الله تعالى بيَّن سبب قتل الغلام في قوله: ﴿ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَاناً وَكُفْراً ﴾.

وأمَّا ما سوى ذلك من الروايات فلا حرج في ذكرها والله أعلم.

الأحكام المستفادة من القصة

١) إذا تعارضت مفسدتان ارتكب الأخف[4] فكان قتل الولد مفسدة، وضلال الوالدين مع بقائه أشد فساداً فكان قتل الولد هو الأولى.

٢) إن من حق الولد على الوالدين بذل النصح له، أخذاً من وصف الأبوين بالإيمان، وقد ذكر الله تعالى من صفات المؤمنين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في قوله تعالى: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ... ﴾[5]، وقوله ﷺ: « **كلكم راعٍ وكلكم مسئول عن رعيته** »[6].

---

(١) سورة النساء، الآية: [١٣٥].

(٢) سورة المائدة، الآية: [١٠٥].

(٣) سورة الإسراء، الآية: [١٥].

(٤) الإكليل، ص: [١٧١]، وتيسير اللطيف المنان للسعدي، ص: [١٤٨].

(٥) سورة التوبة، الآية: [٧١].

(٦) صحيح البخاري، كتاب الجمعة، باب: الجمعة في القرى والمدن، انظر: الصحيح مع الفتح، جـ٢، ص: [٤٤١].

٣) لا تبعة على الوالدين في فساد الولد مع نصحهما له، حيث لم يوجه إليهما لوماً فدلّ ذلك على القيام بواجبهما نحو ولدهما.

٤) التحذير من مخالطة الكفار ولو كانوا من الأقرباء، وقال ﷺ: ((**من جامع المشرك وسكن معه فإنه مثله**))[١].

الدروس والعبر

١) إن صلاح الوالدين سبب في صلاح الأبناء[٢]. ويؤخذ هذا من وصف الوالدين بالإيمان وإرادة الخضر عليه السلام أن يبدلهما الله خيراً من ولدهما الكافر.

٢) تهوين مصيبة فقد الولد، فقد يكون بقاءه شراً كما هو حال هذا الغلام، قال قتادة رحمه الله: " قد فرح به أبواه حين ولد وحزنا عليه حين قتل، ولو بقي كان فيه هلاكهما، فليرض امرؤ بقضاء الله؛ فإن قضاء الله للمؤمن فيما يكره خير له من قضائه فيما يحب[٣] وقد قال تعالى: ﴿ **وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ** ﴾[٤] وقال ﷺ: ((**لا يقضي الله للمؤمن من قضاء إلا كان خيراً له**))[٥].

٣) إن الإيمان أغلى ما يملكه الإنسان فقد قُتِل الابن حفاظاً على صلاح دين أبويه[٦].

٤) عناية الله تعالى بالمؤمنين كما عُني بهذين الأبوين.

٥) قد يُبتلى الرجل الصالح والمرأة الصالحة بولدٍ فاسد كما ابتُلي هذان الأبوان.

٦) قد يضل الوالدان بسبب ضلال الولد فيفتتنان به كما قال تعالى: ﴿ **فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَاناً وَكُفْراً** ﴾[٧] وقال تعالى: ﴿ **يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ إِنَّ مِنْ**

---

(١) سنن أبي داود كتاب الجهاد باب في الإقامة بأرض الشرك، جـ٣، ص: [٩٣]، صححه الألباني في صحيح سنن أبي داود ح: [٢٤٢٠].

(٢) انظر: أيسر التفاسير للجزائري، جـ٢، ص: [٦٦٩].

(٣) تفسير ابن كثير، جـ٥، ص: [١٨١]، وتفسير الطبري، جـ١٦، ص: [٤]، وانظر: تفسير السعدي، جـ٣، ص: [١٧٤].

(٤) سورة البقرة، الآية: [٢١٦].

(٥) مسند الإمام أحمد، جـ٣، ص: [١١٧-١٨٤]، وصححه ابن كثير في تفسيره، جـ٥، ص: [١٨١].

(٦) انظر: تيسير الكريم الرحمن للسعدي، جـ٣، ص: [١٧٤].

(٧) سورة الكهف، الآية: [٨٠].

أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوّاً لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ. إِنَّمَآ أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾[1].

٧) خطورة مخالطة الكفار ولا سيما إذا كان الكافر قريباً كالولد؛ فإن التأثر به أشد، ولهذا سَلَّمَ الله تعالى الوالدين المؤمنين من مخالطة ولدهما الكافر على يد الخضر عليه السلام[2].

(١) سورة التغابن، الآية: [١٤،١٥].

(٢) انظر: تفسير البحر المحيط، جـ٦، ص: [١٥٥].

قصة امرأة عمران

المدخل إلى القصة

إنَّ الله تعالى يصطفي من خلقه ما يشاء ﴿ **وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ** ﴾[1] ولقد اصطفى الله ﷻ من عباده أُناساً هم خيرة الخلق كما قال سبحانه: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى ءَادَمَ وَنُوحاً وَءَالَ إِبْرَاهِيمَ وَءَالَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ. ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** ﴾[2] ولما أخبر الله تعالى أنه اصطفى هؤلاء من بين خلقه ذكر لنا طرفاً من أخبارهم ومثلاً من سيرهم، حيث كانوا مَثَلاً يُقتدى وقدوة تقتفى لما بلغوا من عظيم العبودية لله ﷻ[3] ومن أولئك المصطفين امرأة عمران.

وقد وردت قصتها في موضع واحدٍ من كتاب الله العزيز:

قال تعالى: ﴿ **إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّراً فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ. فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ** ﴾[4].

---

(١) سورة القصص، الآية: [٦٨].

(٢) سورة آل عمران، الآية: [٣٣،٣٤].

(٣) انظر: تفسير الطبري، جـ٣، ص: [٢٣٤].

(٤) سورة آل عمران، الآية: [٣٥،٣٦].

معاني مفردات آيات القصة

نَذَرْتُ لَكَ: النذر النحب وهو ماينذره الإنسان فيجعله على نفسه نحباً واجباً عند حدوث أمرٍ من الأمور[1]، ومعنى لك: أي لعبادتك وقُدم الجار والمجرور لكمال العناية[2].

مُحَرَّراً: أي عتيقاً خالصاً لله خادماً للكنيسة[3].

فَتَقَبَّلْ مِنِّي: التقبل أخذ الشيء على الرضا به، وأصله المقابلة بالجزاء وتقبل هنا بمعنى اقبل[4].

أُعِيذُهَا بِكَ: أي أجيرها وأمنعها[5].

الرَّجِيمِ: أي اللعين الطريد[6].

التعريف بالمرأة

امرأة عمران هي أُم مريم بنت عمران وقيل: اسمها حنة بنت فاقوذ بن قتيل. ولا دليل على صحة الاسم فيما أعلم. وزوجها عمران كما صرح بذلك القرآن قيل هو ابن باشهم بن آمون وقيل ابن ماثان[7].

وقد كان أهل هذا البيت من خيرة الناس إذ كانوا ممّن اصطفاهم الله تعالى على العالمين كما قال سبحانه: ﴿**إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى ءَادَمَ وَنُوحاً وَءَالَ إِبْرَاهِيمَ وَءَالَ**

---

(١) لسان العرب، جـ٥، ص: [٢٠٠]، وانظر: المفردات للراغب، ص: [٤٨٧]، وسبل السلام للصنعاني، جـ٤، ص: [١٩٥].

(٢) تفسير الطبري، جـ٣، ص: [٢٣٥]، وفتح القدير، جـ١، ص: [٣٣٤].

(٣) تفسير الطبري، جـ٣، ص: [٢٣٥].

(٤) تفسير البحر المحيط، جـ٢، ص: [٤٣٧].

(٥) تفسير الخازن، جـ١، ص: [٣٤٠].

(٦) المصدر السابق.

(٧) تفسير ابن جرير، جـ٣، ص: [٢٣٥].

عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ. ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[1] فهم خيار من خيار[2].

عرض القصة

هذا طرف من قصة امرأة من آل عمران عُمر قلبها بالطاعة والإيمان هي امرأة عمران وأم مريم عليها السلام توجهت إلى ربها ﷻ بأعز ما تملك وهو جنينها الذي في بطنها، حيث نذرت أنْ تحرره لله ﷻ وتجعله خادماً لِمعبدهم[3]، وقد صدَّرت نذرها بنداء الله ﷻ بوصف الربوبية[4] وتضرعت إلى الله تعالى بهذه القربة التي يحبها الله سبحانه لما فيها من تعظيم بيته وملازمة طاعته، وسألت الله تعالى أنْ يتقبل نذرها بأن يجعله مؤسساً على الإيمان والإخلاص مثمراً للخير والثواب[5]، وقد توجهت بهذا النذر برغبة شديدة إلى الله تعالى بتوكيد قولها بـ « إنَّ »[6]، وقد توسلت في طلبها أن يتقبل الله نذرها باسْمَي الله تعالى السميع العليم ليتفضل الله تعالى عليها بإحسانه لعلمه بصحة نيتها واخلاصها؛ فقد كانت موقنة بالله تعالى وصفاته حيث أكدت ذلك بقولها: ﴿ **إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ** ﴾[7] ولما ولدت امرأة عمران كان ما ولدته أنثى[8] فقالت معتذرة لربها رب إني وضعتها أنثى وليس الذكر كالأنثى، لأنه إنما كان يحرر الغلمان دون الإناث[9].

---

(١) سورة آل عمران، الآية: [٣٣،٣٤].

(٢) انظر: تفسير الطبري، جـ٣، ص: [٢٣٤]، والتفسير الواضح لمحمود حجازي، جـ٣، ص: [٥٥].

(٣) تيسير الكريم الرحمن للسعدي، جـ١، ص: [٢٤١]، وانظر: في ظلال القرآن، جـ١، ص: [٣٩٢].

(٤) تفسير البحر المحيط، جـ٢، ص: [٤٣٦].

(٥) تيسير الكريم الرحمن للسعدي، جـ١، ص: [٢٤١].

(٦) تفسير أبي السعود، جـ٢، ص: [٢٦].

(٧) المصدر السابق، جـ٢، ص: [٢٨].

(٨) تفسير البغوي، جـ١، ص: [٢٩٥].

(٩) انظر: تفسير الطبري، جـ٣، ص: [٢٣٧]، وتفسير الفخر الرازي، جـ٨، ص: [٢٨].

وقد نقل الفخر الرازي قولين في المراد بقولها وليس الذكر كالأنثى:

القول الأول: أن المراد به تفضيل الولد الذكر على الأنثى وذلك من وجوه:

أحدها: أنه يجوز بشرعهم تحرير الذكور دون الإناث.

ثانيها: أن الذكر يصلح أن يستمر على خدمة موضع العبادة ولا يصلح ذلك في الأنثى لما يعرض لها من الحيض ونحوه.

ثالثها: أن الذكر يصلح لقوته وشدته للخدمة دون الأنثى، فإنها ضعيفة لا تقوى على الخدمة.

رابعها: أن الذكر لا يلحقه عيب في الخدمة والاختلاط بالناس، وليس كذلك الأنثى.

خامسها: أن الذكر لا يلحقه من التهمة عند الاختلاط ما يلحق بالأنثى فهذه الوجوه تقتضي تفضيل الذكر على الأنثى في هذا المعنى.

والقول الثاني: أن المقصود من هذا الكلام ترجيح هذه الأنثى على الذكر كأنها قالت: الذكر مطلوبي وهذه الأنثى موهوبة الله تعالى، وليس الذكر الذي يكون مطلوبي كالأنثى التي هي موهوبة الله تعالى. وهذا الكلام بدا على أن تلك المرأة كانت مستغرقة في معرفة جلال الله عالمة بأن ما يفعله الرب بالعبد خير من ما يريده العبد لِنفسه[1].

وأمّا قوله تعالى: ﴿**وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ**﴾ فقد اختلف فيه القُرَّاء فقرأ ابن عامر وشعبة ويعقوب بإسكان العين وضم التاء فيكون من كلام مريم – وقرأ الباقون بفتح العين وسكون التاء فيكون من كلام الباري ﷻ[2].

قال أبو حيان في تفسير القراءة الأولى: " وكأنها خاطبت نفسها بقولها والله أعلم ولم تأت على لفظ الرب إذ لو أتت على لفظه لقالت وأنت أعلم بما وضعت، ولكن خاطبت نفسها على سبيل التسلية عن الذكر وأنَّ علم الله وسابق قدرته وحكمته يحمل ذلك على عدم التحسر والتحزن على مافات من المقصد؛ إذ مراده ينبغي أن يكون المراد

---

(١) تفسير الفخر الرازي، جـ٨، ص: [٢٩].

(٢) النشر في القراءات العشر، جـ٢، ص: [٢٣٩]، وإتحاف فضلاء البشر، ص: [١٧٣].

وليس الذكر الذي طلبته ورجوته كالأنثى التي علمها وأرادها وقضى بها ولعل هذه الأنثى تكون خيراً من الذكر إذ أرادها ا لله سلت بذلك نفسها[1]، وفسر القراءة الثانية على أنه إخبار من ا لله بأنه أعلم بالذي وضعته أي بحاله وما يؤول إليه أمر هذه الأنثى؛ فإن قولها وضعتها أنثى يدل على أنها لم تعلم من حالها إلاّ على هذا القدر من كون هذه النسمة جاءت أنثى لا تصلح للتحرير فأخبر تعالى أنه أعلم بهذه الموضوعة[2]. ثم ذكر تعالى أن امرأة عمران سمّت ابنتها مريم ومعناه العابدة، أرادت بهذه التسمية التفاؤل لها بالخير والتقرب إلى ا لله تعالى والتضرع إليه وأن يكون فعلها مطابقاً لاسمها[3] كما أنها أعاذتها من الشيطان الرجيم فما تود لوليدتها خيراً من أن تكون في حياطة ا لله لها من الشيطان الرجيم[4] وقد قصدت ديمومة الاستعاذة والتكرار كما يفيده الفعل المضارع في قولها: وإنى أعيذها[5] وقد منَّ ا لله تعالى على امرأة عمران بتخصيص مريم بقبولها في النذر دون غيرها من الاناث[6] كما قال سبحانه: ﴿ **فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ** ﴾[7] واستجاب دعاءها في إعاذتها كما بيَّن هذا حديث أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول ا لله ﷺ يقول: « **ما من بنى آدم مولود إلاّ يمسه الشيطان حين يولد فيستهل صارخاً من مس الشيطان، غير مريم وابنها** ». ثم يقول أبو هريرة: ﴿ ... **وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ** ﴾[8].

---

(١) تفسير البحر المحيط، جـ٢، ص: [٤٣٩].

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

(٤) في ظلال القرآن، جـ١، ص: [٣٩٣].

(٥) انظر: تفسير البحر المحيط، جـ٢، ص: [٤٤٠].

(٦) الأنموذج الجليل في الأسئلة والأجوبة من غرائب آي التنزيل لمحمد بن أبي بكر الرازي، ص: [٤٦].

(٧) سورة آل عمران، الآية: [٣٧].

(٨) صحيح البخاري مع الفتح كتاب أحاديث الأنبياء باب (واذكر في الكتاب مريم ... الآية)، جـ٦، ص: [٥٤١].

قال القرطبي: " أفاد هذا الحديث أن الله تعالى استجاب دعاء أم مريم فإنَّ الشيطان ينخس جميع ولد آدم حتى الأنبياء والأولياء إلاّ مريم وابنها[1] ".

وقد يشكل على ظاهر الآية أن إعاذة أم مريم كانت بعد الوضع فلا يصح حملها على الإعاذة من المس الذي يكون حين الولادة. وأُجيب بأن المس ليس إلاّ بالانفصال وهو الوضع ومعه الإعاذة غايته أنه عبر عنه بالمضارع كما أشرنا إليه لقصد الاستمرار[2]، فرضي الله عنها وأرضاها.

الإسرائيليات

ورد في القصة أخبار عن بني إسرائيل أُجملها فيما يأتي:

روي عن ابن عباس أنها كانت قد جلست عن الولد والمحيض، فبينما هي ذات يوم في ظل شجرة إذ نظرت إلى طير يطعم فرخاً له، فتحركت نفسها للولد، فدعت الله أن يهب لها ولداً، فحاضت من ساعتها، فلما طهرت أتاها زوجها، فلما أيقنت بالولد قالت: لئن نجاني الله ووضعت ما في بطني لأجعلنه محرراً[3].

وروي عنه أيضاً أنها قالت لزوجها: ليس جنس من جنس الأنبياء إلاّ وفيهم محرر غيرنا، وإني جعلت ما في بطني نذيرة فقال لها زوجها: أرأيت إن كان الذي في بطنك أنثى والأنثى عورة – فكيف تصنعين؟ فاغتمت لذلك فقالت عند ذلك: ﴿**رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**﴾[4].

---

(١) تفسير القرطبي، جـ٤، ص: [٦٨]، قال ابن حجر ولا مخالفة لما ثبت من عصمة الأنبياء بل ظاهر الخبر أن إبليس ممكّن من مس كل مولود عند ولادته لكن من عباد الله المخلصين لم يضره ذلك المس أصلاً واستثنى من المخلصين مريم وابنها فإنه ذهب يمس على عادته فحيل بينه وبين ذلك، فهذا وجه الاختصاص ولا يلزم منه تسلطه على غيرهما من المخلصين. فتح البارى، جـ٨، ص: [٦٠].

(٢) روح المعاني للألوسي، جـ٣، ص: [١٣٨].

(٣) الدر المنثور، جـ٢، ص: [١٨٠]، والبداية والنهاية لابن كثير، جـ٢، ص: [٥٦]، وتفسير الطبري، جـ٣، ص: [٢٣٥].

(٤) الدر المنثور، جـ٢، ص: [١٨٠،١٨١].

وذكر القرطبيُّ أنّ امرأة عمران لَفّتْ مريم ابنتها في خرقتها، وأرسلت بها إلى الكنيسة فوفّت بنذرها وتبرأت منها[1]، وقيل: إنها ربتها حتى ترعرعت وحينئذٍ أرسلتها[2].

نقد الإسرائيليات

من هذه الإسرائيليات ما هو ثابت، ومنها ما هو مردود، ومنها ما هو مسكوت عنه:

فأمّا ماروي من نذرها بتحرير ولدها فقد دلّ عليه القرآن في قوله تعالى: ﴿ **إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّراً** ﴾.

وأمّا ماروي أنها ربتها حتى ترعرعت ثم أرسلتها فيدل عليه قوله تعالى: ﴿ **وكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقاً قَالَ يَامَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ** ﴾[3]، فهذه الآية تبيِّن أن مريم آنذاك كانت مميزةً عاقلة فهي إذاً ليست كما قيل إنها كانت صغيرةً في سن الرضاعة.

وأمّا ماروي من أن امرأة عمران لَفّتْ مريم في خرقتها وهي صغيرة وأرسلت بها إلى الكنيسة وتبرأت منها فهذا غير صحيح؛ لما بينته في المسألة السابقة من الدليل على أنها أرسلتها وهي كبيرة.

وأمّا ما سوى ذلك من الأخبار فلا أعلم ما يثبته أو ينفيه فهو من المسكوت عنه ولابأس في ذكره والله تعالى أعلم.

الأحكام المستفادة من القصة

١) إن للأُم ضرباً من الولاية على الولد في تأديبه وتعليمه وإمساكه وتربيته، ولو لم يكن لامرأة عمران شيء من ذلك مانذرت الذي نذرته[4].

---

(١) تفسير القرطبي، جـ٤، ص: [٦٧].

(٢) المصدر السابق.

(٣) سورة آل عمران، الآية: [٣٧].

(٤) أحكام القرآن بتصرف، جـ٢، ص: [١١].

٢) للأُم تسمية ولدها، وتكون تسمية صحيحة وإنْ لم يسمه الأب لقول امرأة عمران: ﴿ **وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ** ﴾ وأثبت الله تعالى لولدها هذا الاسم[١].

٣) جواز التسمية يوم الولادة كما هو الظاهر من السياق في قوله تعالى: ﴿ **فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَى** ﴾ إلى قولها: ﴿ **وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ** ﴾[٢] وقد ثبت في السنة أحاديث تدل على ذلك، منها قوله عليه الصلاة والسلام: « **ولد لي الليلة ولد سميته باسم أبي إبراهيم** »[٣]، وعن أبي موسى الأشعري ﷺ قال: وُلِدَ لي غلام فأتيت به رسول الله ﷺ فسماه إبراهيم وحنكه بتمرة ودعا له بالبركة[٤].

الدروس والعبر

١) ينبغي للعبد أن يطلب الولد الصالح كما طلبت ذلك امرأة عمران في دعائها وكما دعا به زكريا عليه السلام حيث قال: ﴿ **رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً** ﴾[٥] وإبراهيم عليه السلام حيث قال: ﴿ **رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ** ﴾[٦] وقال تعالى في صفات عباد الرحمن: ﴿ **وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً** ﴾[٧] ولاينبغي أن يكون طلب الولد لمجرد الاستئناس والاستنصار والاستعانة بأمر المعاش بهم[٨] وقد جاء الحث على طلب الولد الصالح فعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: « **إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلاّ من ثلاثة إلاّ من صدقةٍ جارية، أو علم ينتفع به، أو ولدٍ صالح يدعو له** »[٩].

---

(١) المصدر السابق، وانظر: تحفة المودود بأحكام المولود، ص: [٧٩].

(٢) تفسير ابن كثير، جـ١، ص: [٢٧].

(٣) صحيح مسلم كتاب الفضائل باب رحمته ﷺ الصبيان والعيال وتواضعه وفضل ذلك، جـ٤، ص: [١٨٠٧].

(٤) صحيح البخاري مع الفتح باب تسمية المولود غداة يولد لمن لم يعق عنه وتحنيكه، جـ٩، ص: [٥٠٠]، وصحيح مسلم كتاب الآداب باب استحباب تحنيك المولود عند ولادته، جـ٣، ص: [١٦٩٠].

(٥) سورة آل عمران، الآية: [٣٨].

(٦) سورة الصافات، الآية: [١٠٠].

(٧) سورة الفرقان، الآية: [٧٤].

(٨) تفسير القاسمي، جـ٤، ص: [٨٣٣].

(٩) صحيح مسلم كتاب الوصية باب ما يلحق الانسان من الثواب بعد وفاته، جـ٣، ص: [١٢٥٥].

٢) التوسل إلى الله تعالى بوصف الربوبية لما في ذلك من اظهار الافتقار إلى الرب ﷻ[١] أخذاً من توسل امرأة عمران بوصف الربوبية.

٣) ينبغي للعبد أن لا يكتفي بالعمل، بل يسأل الله تعالى القبول أخذاً من قول امرأة عمران: ﴿ **فَتَقَبَّلْ مِنِّي** ﴾ وكذلك قال إبراهيم عليه السلام وهو يرفع البيت: ﴿ **رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ** ﴾[٢].

٤) أنَّ الأولى بالعبد أنْ يسأل ربه قبول العمل أثناء القيام به أخذاً من سؤال امرأة عمران القبول أثناء دعائها وكذلك كان سؤال إبراهيم عليه السلام قبول العمل أثناء بنائه للكعبة.

٥) اختيار أسماء الله تعالى وصفاته المناسبة للمقام للتوسل بها[٣] أخذاً من قول امرأة عمران: ﴿ **فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ** ﴾ وكذلك دعاء أولي الألباب في قوله تعالى: ﴿ **رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ** ﴾[٤] وفي دعاء عيسى عليه السلام ماقال الله تعالى عنه: ﴿ **وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ** ﴾[٥].

٦) إحاطة الله تعالى بالحوادث أخذاً من قوله: ﴿ **وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ** ﴾.

٧) بيان فضل الذكر على الأنثى في باب النهوض بالأعمال والواجبات[٦] أخذاً من قوله: ﴿ **وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى** ﴾ وفي هذا رد على المنادين بالمساواة بين الذكر والأنثى.

٨) اختيار الاسم الحسن للمولود أخذاً من قولها: ﴿ **وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ** ﴾ وقد عرفنا من قبل أن معنى مريم أي عابدة[٧]. ومما روي عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله

---

(١) انظر: تفسير أبي السعود، جـ٢، ص: [٢٦].

(٢) سورة البقرة، الآية: [١٢٧].

(٣) انظر: كتاب قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة، ص: [٩٢،٩٣]، وانظر: تفسير أبي السعود، جـ٢، ص: [٢٦].

(٤) سورة آل عمران، الآية: [٨].

(٥) سورة المائدة، الآية: [١١٤].

(٦) أيسر التفاسير للجزائري، جـ١، ص: [٢٥٨].

(٧) وسيأتي ذكر ذلك في قصة مريم ص: [٦١].

ﷺ: « **إنكم تُدعون يوم القيامة بأسمائكم وأسماء أبائكم فأحسنوا أسماءكم** »[1]

قال ابن القيم رحمه الله: " وبالجملة فالأخلاق والأعمال والأفعال القبيحة تستدعي أسماء تناسبها، وأضدادها تستدعي أسماءً تناسبها، وكما أن ذلك ثابت في أسماء الأوصاف، فهو كذلك في أسماء الأعلام وماسُمي، رسول الله ﷺ محمداً وأحمد إلا لكثرة خصال الحمد فيه، ولهذا كان لواء الحمد بيده، وأمته الحمَّادون، وهوأعظم الخلق حمداً لربه تعالى؛ ولهذا أمر رسول الله عليه الصلاة والسلام بتحسين الأسماء فقال: « **حسّنوا أسماءكم** »، فإن صاحب الاسم غير الحسن قد يستحي من اسمه، وقد يحمله اسمه على فعل ما يناسبه وترك ما يضاده، ولهذا ترى أكثر السفل أسماؤهم تناسبهم، وأكثر العلية أسماؤهم تناسبهم[2].

٩) تحصين الأولاد من الشيطان بتعويذهم با لله رب العالمين أخذاً من قوله: ﴿ **وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ** ﴾ وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان النبي ﷺ يعوّذ الحسَنَ والحسين ويقول: « **إنّ أباكما كان يعوّذ بهما إسماعيل وإسحاق: أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة** »[3].

١٠) استجابة الله تعالى لدعاء أوليائه، كما استجاب لامرأة عمران ورزقها الولد وأعاذ بنتها وولدها من الشيطان الرجيم[4].

---

(١) سنن أبي داود كتاب الأدب باب في تغيير الأسماء، جـ٤، ص: [٢٨٧]، قال ابن حجر رجاله ثقات إلاّ أنّ في سنده إنقطاعاً بين عبدا لله بن أبي زكريا راويه عن أبي الدرداء وأبي الدرداء فإنه لم يدركه. فتح الباري، جـ١٠، ص: [٥٩٣].

(٢) تحفة المودود بأحكام المولود، ص: [٨٦].

(٣) صحيح البخاري مع الفتح كتاب أحاديث الأنبياء باب حديث أبي ذر أي مسجد وضع في الأرض، جـ٦، ص: [٤٧٠].

(٤) أيسر التفاسير للجزائري بتصرف، جـ١، ص: [٢٥٨].

وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ. ذَلِكَ مِنْ أَنبَآءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلاَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ. إِذْ قَالَتِ الْمَلآئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ... قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ إِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَاناً عَظِيماً ... يَآ أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُواْ عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَآ إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُواْ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلاَ تَقُولُواْ ثَلاَثَةٌ انتَهُواْ خَيْراً لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً ﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿ مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلاَنِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الأَيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾[3].

وقوله تعالى: ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَاناً شَرْقِيّاً. فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَاباً فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِيّاً. قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّاً. قَالَ إِنَّمَآ أَنَاْ رَسُولُ رَبِّكِ لأَهَبَ لَكِ غُلاَماً زَكِيّاً. قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلاَمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيّاً. قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْراً مَّقْضِيّاً. فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَاناً قَصِيّاً. فَأَجَآءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْياً مَّنسِيّاً. فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَآ أَلاَّ تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيّاً. وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيّاً. فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْناً فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَداً فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْماً فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيّاً. فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا

---

(1) سورة آل عمران، الآيات: [٣٦،٣٧،٤٢-٤٥،٤٧].

(2) سورة النساء، الآية: [١٥٦،١٧١].

(3) سورة المائدة، الآية: [٧٥].

تَحْمِلُهُ قَالُواْ يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئاً فَرِيّاً. يَآ أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيّاً. فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُواْ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيّاً ﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿ وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ ءَايَةً وَءَاوَيْنَاهُمَآ إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴾[3].

وقوله تعالى: ﴿ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ ﴾[4].

معاني مفردات آيات القصة

فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا: أي قَبِلَ الله مريم من أُمِّها، وقيل: التقبُّل بمعنى التكفُّل في التربية والقيام بشأنها[5].

الْمِحْرَابَ: المحراب الغرفة، والمحراب صدر المجلس ومنه محراب المسجد[6] وهو مقدم كل مجلس ومصلى، وهو سيد المجالس وأشرفها وأكرمها، وكذلك هو من المساجد[7].

اصْطَفَاكِ: اختارك[8] واجتباك لطاعته وما خصَّك به من كرامته[9].

وَطَهَّرَكِ: طهر دينك من الريب والأدناس التي في أديان نساء بني آدم[10].

---

(١) سورة مريم، الآيات: [١٦-٢٩].

(٢) سورة الأنبياء، الآية: [٩١].

(٣) سورة المؤمنون، الآية: [٥٠].

(٤) سورة التحريم، الآية: [١٢].

(٥) انظر: تفسير البغوي، جـ١، ص: [٢٩٦].

(٦) مختار الصحاح، ص: [١٢٨].

(٧) تفسير الطبري، جـ٣، ص: [٢٤٦]، وتفسير البغوي، جـ١، ص: [٢٩٧]، ومعاني القرآن للزجاج، جـ١، ص: [٤٠٣].

(٨) معاني القرآن للزجاج، جـ١، ص: [٤١٠].

(٩) تفسير الطبري، جـ٣، ص: [٢٦٢].

(١٠) تفسير الطبري، جـ٣، ص: [٢٦٢].

وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَآءِ الْعَالَمِينَ: اختارك على نساء العالمين في زمانك بطاعتك إياه ففضلك عليهنّ[1].

اقْنُتِي: القنوت لزوم الطاعة مع الخضوع[2].

وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ: المس يقال فيما يكون معه إدراك بحاسة اللمس، وكنى به عن النكاح[3].

بَغِيّاً: بغت المرأة بغيا إذا فجرت، وذلك لتجاوزها إلى ما ليس لها[4]، والمراد زانية[5].

سَرِيّاً: أي نهراً يسري[6].

أَقْلاَمَهُمْ: سهامهم التي استهم بها[7].

وَكَلِمَتُهُ: المراد بها كلمة كن[8].

بُهْتَاناً: البهتان هو الكذب الذي يحير من شدته وعظمه[9].

وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ: أي كثيرة الصدق مؤمنة به مصدقة له، وهذا أعلى مقاماتها، والصديقية هي: العلم النافع المثمر لليقين والعمل الصالح[10].

فَانتَبَذَتْ بِهِ: أي اعتزلت وهو في بطنها. والباء في « به » للحال أي مصحوبة به[11].

نَسْياً: النسي: هو الذي من حقه أن يُطرح ويُنسى[12].

---

(١) تفسير الطبري.

(٢) المفردات للراغب، ص: [٤١٣].

(٣) المصدر السابق، ص: [٤٦٧].

(٤) المفردات للراغب، ص: [٤٦٧].

(٥) تفسير الجلالين، ص: [٤٠٥].

(٦) المصدر السابق.

(٧) تفسير الطبري، جـ٣، ص: [٢٦٧].

(٨) تفسير البغوي، جـ١، ص: [٥٠٢]، وتفسير ابن كثير، جـ٢، ص: [٤٣١].

(٩) معاني القرآن للزجاج، جـ٢، ص: [١٢٨].

(١٠) تفسير البغوي، جـ٢، ص: [٥٤]، وتفسير ابن كثير، جـ٣، ص: [١٥٠]، وتيسير الكريم الرحمن للسعدي، جـ١، ص: [٥٠٧].

(١١) تفسير البحر المحيط، جـ٦، ص: [١٨١].

(١٢) الكشاف، جـ٢، ص: [٥٠٦].

وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: « **ما من مولود يولد إلا نخسه الشيطان فيستهل صارخاً مِنْ نخسة الشيطان إلا ابن مريم وأمه** » ثم قال أبو هريرة: اقرأوا إن شئتم: ﴿ **وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ** ﴾[1].

قال القرطبي: قال علماؤنا: " فأفاد هذا الحديث أن الله تعالى استجاب دعاء أم مريم، فإن الشيطان ينخس جميع ولد آدم حتى الأنبياء والأولياء إلا مريم وابنها "[2].

وقال – أيضاً –: " اختلف الناس في نبوة مريم فقيل: كانت نبية بهذا الإرسال والمحاورة للمَلَك وقيل: لم تكن نبية وإنما كلّمها مثال بشر، ورؤيتها للمَلَك كما رؤي جبريل عليه السلام في صفة دحية الكلبي[3] حين سؤاله عن الإيمان والإسلام والأول أظهر "[4].

وقال ابن كثير في قوله تعالى: ﴿ **وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِم** ﴾[5]: " يخبر تعالى أنه إنما أرسل رسله من الرجال لا من النساء، وهذا قول جمهور العلماء كما دل عليه سياق هذه الآية الكريمة أن الله تعالى لم يُوحِ إلى امرأة من بنات بني آدم وحي تشريع ..." إلى أن قال رحمه الله: " والذي عليه أهل السنة والجماعة وهو الذي نقله الشيخ أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري عنهم: أنه ليس في النساء نبية وإنما فيهن صديقات كما قال تعالى مخبراً عن أشرفهن مريم بنت عمران حيث قال: ﴿ **مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلاَنِ الطَّعَامَ** ﴾ فوصفها في أشرف مقاماتها بالصديقة، فلو كانت نبية لذكر ذلك في مقام التشريف والإعظام فهي صديقة بنص القرآن "[6] ويتبين من كلام ابن كثير رجحان قوله لقوة الدليل والله أعلم.

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب فضل عيسى عليه السلام، جـ٤، ص: [١٨٣٨].

(٢) تفسير القرطبي، جـ٤، ص: [٦٨].

(٣) دحية بن خليفة بن فروة الكلبي، صحابي مشهور أول مشاهده الخندق كان جميلاً وكان جبريل ينزل على صورته. انظر: الاصابة، جـ١، ص: [٤٦٣].

(٤) تفسير القرطبي، جـ١١، ص: [٩٠].

(٥) سورة يوسف، الآية: [١٠٩].

(٦) تفسير ابن كثير، جـ٤، ص: [٣٤٥،٣٤٦].

عرض القصة

قصَّ لنا القرآن الكريم خبر مريم من حين ولادتها؛ وذلك أن أمها نذرت أن تحرر ما في بطنها ودعت الله تعالى أن يتقبله منها فولدت أنثى وسمتها مريم وقد عوذتها بالله كما تقدم بيان ذلك في قصة أم مريم والتي هي امرأة عمران، فاستجاب الله ذلك الدعاء واستقبل الله مريم من أول أمرها فكانت في رعاية الله منذ ولدت، وأنشأها سبحانه نشأة حسنة في خَلقها وخُلُقها وفي عبودية الله وطاعته[1] ويَسَّر لها أسباب القبول وقرنها بالصالحين من عباده لتقتبس منهم العلم والخير، وذلك بأن جعلها في كفالة زكريا عليه السلام[2]، حيث فاز بكفالتها بالقرعة واستمرت معه حتى بلغت[3]، وقد كانت وهي في كفالة زكريا ملازمة لمحرابها مكثرة من الصلاة والتقرب إلى الله تعالى كما أفاده قوله تعالى: ﴿ **كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ** ﴾، فهذا إشارة إلى ما كانت عليه من المداومة على العبادة[4] فكانت بذلك من أولياء الله عز وجل ونالت من الكرامات ما ذكره الله تعالى من الرزق العجيب الذي كان يسألها عنه زكريا عليه السلام فيقول: ﴿ **أَنَّى لَكِ هَٰذَا** ﴾ فتقول: ﴿ **هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ** ﴾، كما ذكر القرآن ما جرى من خطاب الملائكة لها وقد نادتها الملائكة باسمها تأنيساً لها وتوطئة لما يُلقونه إليها[5] فأخبروها بأن الله اصطفاها وطهرها من الأكدار والوسواس[6] واصطفاها على نساء العالمين أي عالمي زمانها أو نساء العالمين جميعاً؛ وذلك لكونها ولدت بلا زوج أو لكونها محررة ولم تحرر أنثى قط[7] كما أمرتها الملائكة بكثرة العبادة والخشوع والركوع والسجود وذلك لتتهيأ للمحنة العظيمة[8]، وهي ما بشَّرتها به الملائكة من أنها

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير، جـ٢، ص: [٢٨]، وتفسير البحر المحيط، جـ٢، ص: [٤٤١].

(٢) انظر: تفسير ابن كثير، جـ٢، ص: [٢٨].

(٣) انظر: تفسير الطبري، جـ٣، ص: [٢٤١].

(٤) انظر: تيسير الكريم الرحمن للسعدي، جـ١، ص: [٢٤٢].

(٥) انظر: تفسير البحر المحيط، جـ٢، ص: [٤٥٥].

(٦) تفسير ابن كثير، جـ٢، ص: [٣٢].

(٧) انظر: تفسير البغوي، جـ١، ص: [٣٠٠]، وتفسير الطبري، جـ٤، ص: [٨٢].

(٨) تفسير ابن كثير، جـ٢، ص: [٣٢].

ستلد ولداً ذكراً وأن اسمه المسيح عيسى ابن مريم، فنسبت الملائكة الولد إليها لتعلمها أن ذلك الولد سيكون من غير زوج، ولهذا تعجبت فقالت: ﴿ **رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ** ﴾[1]، فهي لم تتزوج لاشتغالها بالعبادة والخدمة لدينها[2] ثم ذكر الله تعالى ما جرى - حين انفردت بنفسها شرقي المسجد الأقصى واتخذت حجاباً أي ستراً يسترها من أهلها ومن الناس - من إرسال جبريل عليه السلام إليها في صورة بشر سوي الخلقة فاستعاذت بالله منه حيث قالت: إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا فخاطبها المَلَك قائلاً: إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكيا، قالت: أنى يكون لي غلام أي كيف يكون لي غلام أو يوجد لي ولد ولم يمسسني بشر ولم أك بغيا، أي ولست ذات زوجٍ وما أنا ممن يفعل الفاحشة؟ فأجابها المَلَك على تعجبها قائلاً: كذلك قال ربك أي وعد أنه سيخلق منك غلاماً من غير بعلٍ أو زنى، وهو أمر يسير فإن الله على ما يشاء قدير، فنفخ جبريل نفخة سلكت في فرجها فحملت بعيسى عليه السلام فانفردت بعيداً عن الناس خشية أن يتكلموا فيها. فألجأها الطلق إلى جذع النخلة وحين ذاك قالت: يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً تمنت الموت وتَمَنَّت لو أنها لم تُخلق لما علمت من مآلها واتهام الناس لها، فحملت بسبب ذلك هماً عظيماً، فناداها من تحتها أو مَن تحتها على قراءتين الأولى لنافع وحفص والكسائي وحمزة وخلف والثانية للباقين[3]، والذي ناداها إما جبريل أو عيسى على قولين للمفسرين، فقال لها: لا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا أي نهرا وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً، ويُحتمل أنها نخلة غير مثمرة لأن ميلاده كان في زمن الشتاء وليس ذاك وقت ثمر، وقد يُفهم ذلك من قوله تعالى على سبيل الامتنان: ﴿ **تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيّاً** ﴾[4] فكلي واشربي وقري عيناً وطيبي نفساً بهذا المولود[5]، ثم أوصاها

---

(١) فتح القدير، جـ١، ص: [٣٤١]، والكشاف، جـ١، ص: [٤٣٠].

(٢) تفسير الطبري، جـ١٦، ص: [٦٠]، والأنموذج الجليل في الأسئلة والأجوبة من غرائب آي التنزيل لمحمد بن أبي بكر الرازي، جـ١، ص: [٤٩].

(٣) اتحاف فضلاء البشر، ص: [٢٩٨].

(٤) قصص الأنبياء، ص: [٥٦٦-٥٧٠].

(٥) انظر: تفسير الطبري، جـ١٦، ص: [٧٤]، وتفسير البغوي، جـ٣، ص: [١٩٣].

قائلاً: إن رأيت أحداً من البشر يسألك عن أمرك وسبب ولادتك فقولي بلسان الحال: إني نذرت للرحمن صوماً أي صمتاً فلا أكلم اليوم أحداً من الناس[1]، فأتت به قومها تحمله فأنكروا عليها وقالوا: يا مريم لقد جئت شيئاً فريا أي منكراً عظيماً[2] وقالوا: يا أخت هارون قيل شبهوها بعابد من عُبّاد زمانهم كانت تساميه في العبادة وكان اسمه هارون، وقيل: أرادوا بهارون أخا موسى شبهوها به في العبادة[3] قالوا لها: ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا: أي أن هذا ليس من سجية أهلك وعادتهم فكيف وقعت في هذه الجريمة النكراء؟ فإن كلامهم هذا تعريض لها بالقذف وذلك كما ذكر الله في قوله: ﴿ **وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَاناً عَظِيماً** ﴾[4]، فأشارت إليه حينما قالوا لها ما قالوا لتظهر المعجزة وتظهر براءة مريم عليها السلام مما رُميت به من الفاحشة. قالوا متعجبين: كيف نكلم من كان في المهد صبيا؟ فأنطق الله عيسى عليه السلام بالحق فظهرت براءة هذه المرأة التي وصفها الله تعالى بالعفاف، ثم آواها الله تعالى وابنها إلى ربوة وهي مكان مرتفع ذو استواء وماء ظاهر[5]. وإلى هذا الحد انتهى ذكر قصة مريم الطاهرة العفيفة الصِدِّيقة والتي جعلها الله هي وابنها آية للعالمين؛ حيث وَلَدَت بلا زوج وَوُلِدَ عيسى بلا أب[6] فإن شأنها مع ابنها فيه حجة على من كان من الناس بينهم وعلى قدرة الله تعالى على إنشاء الأجساد من غير أصل[7] كما دلَّ القرآن على أنها وابنها كانا من البشر لقوله تعالى عنهما: ﴿ **كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ** ﴾ وهذا من شأن البشر.

---

(١) انظر: تفسير الطبري جـ١٦، ص: [٧٤]، وتفسير القرطبي، جـ١١، ص: [١٠١، ١٠٢].

(٢) قصص الأنبياء لابن كثير، ص: [٥٧١].

(٣) المرجع السابق.

(٤) انظر: تفسير الطبري، جـ٦، ص: [١٢].

(٥) تفسير الطبري، جـ١٨، ص: [٢٧].

(٦) انظر: تفسير الطبري، جـ١٨، ص: [٢٥]، وانظر: تفسير البغوي، جـ٣، ص: [٢٦٧]، وانظر: تفسير الفخر الرازي، جـ٢٣، ص: [١٠٤].

(٧) تفسير الطبري، جـ١٨، ص: [٢٥]، وتفسير البغوي، جـ٣، ص: [٢٦٧]، وتفسير القرطبي، جـ١١، ص: [٣٣٨].

الإسرائيليات

ورد في القصه إسرائيليات أجملها فيما يلي:

ذكر الطبري أنها حين بلغت انطلقت إلى المحراب وكانت كفالتها عند زكريا حينما فاز بالقرعة، فجعلها في بيته وهو في المحراب[1].

وروى الطبري عن ابن عباس وسعيد بن جبير أن زكريا جعلها معه في المحراب[2].

وذكر أيضاً أن زكريا كفل مريم بلا قرعة و لم ينازعه أحد فيها؛ وذلك أن خالتها كانت تحته[3].

وروى أيضاً عن شعيب الحياني أنهم إنما اقترعوا على مريم بعد بلوغها لأجْلِ مؤنتها حيث رأوا أن زكريا عاجز عن مؤنتها[4].

وذكر أيضاً أن المراد بالرزق فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء[5].

وروى أيضاً عن ابن عباس وغيره أن المراد عنب في غير حينه[6].

ذكر السيوطي عن مجاهد: ﴿ **وَجَدَ عِندَهَا رِزْقاً** ﴾ قال علماً[7].

وروى الطبري عن مجاهد قال لما قيل لها: يامريم اقنتي لربك، قامت حتى ورم كعباها[8].

وذكر أيضاً عن ابن إسحاق أن الملائكة خاطبت مريم شفاهاً[9].

---

(١) تفسير الطبري، جـ٣، ص: [٢٤٣،٢٤٤].

(٢) تفسير الطبري، جـ٣، ص: [٢٤٤].

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق، وإسناده ضعيف، ففيه الحسين بن داود المصيصي، ضعيف كما سبق. انظر: ص: [٣٥].

(٥) المصدر السابق.

(٦) المصدر السابق.

(٧) الدر المنثور: جـ٢، ص: [١٨٦].

(٨) تفسير الطبري، جـ٣، ص: [٢٦٥].

(٩) المصدر السابق، جـ٣، ص: [٢٦٤].

ونقل أيضاً عن ابن إسحاق قال: كانت مريم حبيساً في الكنيسة ومعها في الكنيسة غلام اسمه يوسف وقد كان أمه وأبوه جعلاه نذيراً حبيساً فكانا في الكنيسة جميعاً وكانت مريم إذا نفد ماؤها وماء يوسف أخذا قلتيهما فانطلقا إلى المفازة التي فيها ماء يستعذبان منه فيملآن قلتيهما، ثم يرجعان إلى الكنيسة، والملائكة في ذلك مُقبلة على مريم يا مريم إن الله اصطفاك وطهَّرك واصطفاك على نساء العالمين. فإذا سمع ذلك زكريا قال: إنَّ لابنة عمران لشأنا[1].

وأورد السيوطي عن ابن عباس قال: لما بلغت مريم فإذا هي في بيتها منفصلة إذ دخل عليها رجل بغير إذن فخشيت أن يكون دخل عليها ليغتالها[2] فقالت: إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً.

وأورد أيضاً عن ابن عباس وعن مرة[3] عن ابن مسعود رضي الله عنهما قالا: " خرجت مريم إلى جانب المحراب لحيض أصابها فلما طهرت إذا هي برجل معها فتمثل لها بشراً ففزعت وقالت: إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً فخرجت وعليها جلبابها فأخذ بكمها، فنفخ في جيب درعها - وكان مشقوقاً من قدامها - فدخلت النفخة صدرها فحملت فأتتها أختها امرأة زكريا ليلةً تزورها. فلما فتحت لها الباب التزمتها فقالت امرأة زكريا: يا مريم أشعرت أني حبلى قالت مريم أشعرت أيضاً أني حبلى فقالت امرأة زكريا فإني وجدت ما في بطني يسجد للذي في بطنك، فذلك قوله: ﴿ **مُصَدِّقاً بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ** ﴾[4] "[5].

---

(١) تفسير الطبري، جـ٣، ص: [٢٦٤].

(٢) الدر المنثور، جـ٥، ص: [٤٩٤].

(٣) هو مرة بن شراحيل الهمداني بسكون الميم الكوفي، ويقال له: مرّة الطيب، ثقة عابد، مات سنة ست وسبعين. انظر: التعريب، جـ٢، ص: [٢٣٨]، رقم: [١٠٠٧].

(٤) سورة آل عمران، الآية: [٣٩].

(٥) الدر المنثور، جـ٥، ص: [٤٩٥]، وقال ابن جرير جـ١، ص: [٣٥٤] عن هذا الإسناد: « ولست أعلمه صحيحاً إذ كنت بإسناده مرتاباً »، وذكر ابن حجر أن راويه السدي خلط روايات الجميع فلم تتميز روايات الثقة من الضعيف. انظر: الدر، جـ٨، ص: [٧٠١].

وروى الطبري عن ابن جريج ووهب بن منبه أن الذي أُرسل إليها هو جبريل عليه السلام[1].

ونقل السيوطي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: حين حملت وضعت[2]، وعن ابن عباس وعكرمة أنها حملت به ثمانية أشهر وقيل: تسع ساعات، وقيل غير ذلك[3].

وذكر السيوطي عن أبي عبيد الله فأجاءها المخاض إلى جذع نخلة يابسة قد جيء به ليُبنى به بيت يُقال له بيت لحم[4] فحركته فإذا هو نخلة[5].

وذكر أيضاً عن مجاهد أن النخلة كانت عجوة[6].

وأورد أيضاً عن سعيد بن جبير أن الربوة هي بيت المقدس[7].

وروى الطبري عن أبي هريرة أن المراد بالربوة هي الرملة من فلسطين[8].

ونقل السيوطي عن وهب بن منبه وابن زيد وعن ابن عباس والحسن أنها مصر[9].

وذكر أيضاً عن مجاهد ﷺ قال: قالت مريم كنت إذا خلوت حدثني عيسى وكلمني وهو في بطني، وإذا كنت مع الناس سبح في بطني وكبر وأنا أسمع[10].

نقد الإسرائيليات

من هذه الروايات ما هو منكر، ومنها ما هو ثابت، ومنها ما هو مسكوت عنه:

فأمَّا ما روي من أن زكريا جعل مريم في بيته وهو في المحراب فهذا خلاف قوله: ﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ ﴾ فإنه يفيد أنها كانت في المحراب معه.

---

(١) تفسير الطبري، جـ١٦، ص: [٦٠].

(٢) الدر المنثور، جـ٥، ص: [٤٩٧].

(٣) انظر: قصص الأنبياء لابن كثير، ص: [٥٦٨].

(٤) هي قرية بالشام تلقاء بيت المقدس وهي التي وُلد فيها عيسى عليه السلام. معجم ما استعجم، جـ١، ص: [٢٨٩]، والروض المعطار في خبر الأقطار، ص: [١٢٣]، وهي مدينة معروفة في فلسطين.

(٥) الدر المنثور، جـ٥، ص: [٥٠٠،٥٠١].

(٦) المصدر السابق، جـ٥، ص: [٥٠٤].

(٧) المصدر السابق، جـ٦، ص: [١٠٠].

(٨) تفسير الطبري، جـ١٨، ص: [٢٦].

(٩) الدر المنثور، جـ٦، ص: [١٠٠].

(١٠) المصدر السابق، جـ٥، ص: [٤٩٧].

وأمَّا ما روي من أن القرعة كانت بعد بلوغها وبعد كفالة زكريا لها وذلك أنه عجز عن مؤنتها فالصحيح والذي يدل عليه ظاهر السياق أن زكريا كفلها بالقرعة، و لم تكن قرعة أخرى بعدها في شأن مريم.

وأمَّا ما روي من أن المراد بالرزق هو العلم فهو بعيد؛ لأن الرزق هنا فيما يظهر هو غذاء البدن ونحو ذلك، والعلم غذاء القلب وهو شيء غير محسوس.

وأمَّا ما روي من الخلاف في مدة حملها فقد قال ابن القيم رحمه الله: " إنما عطف بالفاء مع أن بين مجئ المخاض والحمل مهلة؛ لأن المهلة التي بين حملها ومخاضها كانت مدة يسيرة، قيل: كانت يوماً وقيل: كانت ثلاث ساعات، وعليه أغلب المفسرين حتى يتميز حملها عن سائر النساء، ويكون ذلك كرامة لها، فعلى هذا يكون المراد بالآية بيان ذلك[1].

وأمَّا ما روي من الخلاف في موضع الربوة فقد رجح ابن كثير رحمه الله أن المراد بها بيت المقدس.

وأمَّا ما روي من كفالة زكريا لها وفوزه بذلك بالقرعة وخطاب الملائكة لها شفاهاً وانفصالها عن أهلها ودخول المَلَك عليها واستعاذتها منه ونفخ جبريل عليه السلام في درعها وحملها من ذلك، فهذا كله ثابت في كتاب الله العزيز كما تقدم.

وأمَّا ما سوى ذلك من الروايات فلا أعلم ما يثبته أو ينفيه، والله تعالى أعلم.

الأحكام المستفادة من القصة

١) مشروعية الكفالة[2] أخذاً من قوله تعالى: ﴿ **وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا** ﴾ وقال ﷺ: « **كافل اليتيم له أو لغيره أنا وهو كهاتين في الجنة**[3] **وأشار مالك بن أنس – رحمه الله – بالسبابة والوسطى** ».

(١) بدائع التفسير لابن القيم، جـ٣، ص: [١٣٦].

(٢) الإكليل، ص: [٦٩]، وتفسير القرطبي، جـ٤، ص: [٨٦].

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي، جـ١٨، ص: [١١٣].

٢) إن الخالة أحق بالحضانة بعد الجدة من سائر القرابات أخذاً من كفالة زكريا لمريم وزكريا زوج خالتها[١] وقال ﷺ: « **الخالة بمنزلة الأم** »[٢].

٣) جواز طلب الإستفسار عما يكون مخالفاً للعادة لمعرفة سر ذلك أو علته أخذاً من قوله تعالى عن مريم: ﴿ **قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ** ﴾[٣].

٤) مشروعية القرعة[٤] أخذاً من قوله تعالى: ﴿ **إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ** ﴾.

٥) مشروعية التعوذ با لله من كل ما يخاف[٥] أخذاً من قولها: ﴿ **إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّاً** ﴾.

٦) جواز تمني الموت خشية الفتنة في الدين[٦] أخذاً من قول مريم: ياليتني مت قبل هذا وعن أبي هريرة قال: قال رسول ا لله ﷺ: « **والذي نفسي بيده لا تذهب الدنيا حتى يمر الرجل على القبر فيتمرغ عليه ويقول: ياليتني كنت مكان صاحب هذا القبر، وليس به الدِّين إلا البلاء** »[٧].

٧) وجوب السعي وبذل الأسباب في طلب الرزق مع كونه محتوماً[٨] أخذاً من قوله تعالى: ﴿ **وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيّاً** ﴾ وقال تعالى: ﴿ **فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ** ﴾[٩].

---

(١) تفسير القرطبي، جـ٤، ص: [٨٦]، وأحكام القرآن لابن العربي، جـ١، ص: [٢٧٤]، والإكليل، ص: [٦٩]، وانظر: المغني لابن قدامة، جـ٨، ص: [٣٦٥].

(٢) صحيح البخاري، كتاب الصلح، باب كيف يكتب: هذا ما صالح فلان ابن فلان ... جـ٥، ص: [٣٥٨].

(٣) أيسر التفاسير للجزائري، جـ١، ص: [٢٦٤].

(٤) الإكليل، ص: [٦٩]، وتفسير القرطبي، جـ٤، ص: [٨٦].

(٥) أيسر التفاسير للجزائري، جـ١، ص: [٢٦٤].

(٦) انظر: تفسير ابن كثير، جـ٤، ص: [٣٣٨]، وانظر: تفسير القرطبي، جـ١١، ص: [٩٢].

(٧) سنن ابن ماجه، كتاب الفتن، باب شدة الزمان، جـ٢، ص: [١٣٤٠]، حديث صحيح، وانظر: صحيح سنن ابن ماجه، جـ٢، ص: [٣٧٥].

(٨) انظر تفسير القرطبي، جـ١١، ص: [٩٢].

(٩) سورة الملك، الآية: [١٥].

٨) مشروعية النذر[1] أخذاً من قوله تعالى: ﴿ **فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْماً فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيّاً** ﴾، وقال ﷺ: « **من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه** »[2].

٩) إذا حلف الحالف على ألا يتكلم أو لا يكلم فلانا لا يحنث بالإشارة[3] أخذاً من قوله تعالى: ﴿ **فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ** ﴾.

١٠) إنَّ ترك الكلام واستعمال الصمت قد كان قُربة، ولولا ذلك لما نذرته مريم عليها السلام ولما فعلته بعد النذر[4] أخذاً من قوله تعالى: ﴿ **إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْماً فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيّاً** ﴾، إلا أنَّ نذر الصمت في شريعتنا منهي عنه ولا يصح[5] لما جاء عن ابن عباس قال: « **بينا النبي ﷺ يخطب إذا هو برجل قائم فسأل عنه، فقالوا أبو إسرائيل[6] نذر أن يقوم ولا يقعد ولا يستظل ولا يتكلم ويصوم، فقال النبي ﷺ: مره فليتكلم وليستظل وليقعد وليتم صومه** »[7].

١١) جواز التسمية بأسماء الأنبياء[8] أخذاً من قوله تعالى: ﴿ **يَا أُخْتَ هَارُونَ** ﴾ وهارون هذا مسمى باسم نبي الله عليه السلام.

١٢) وجوب السكوت عن السفيه[9] أخذاً من سكوت مريم لمَّا اتهمها قومها بالفاحشة ولم تُجِبْ عليهم، وقال تعالى: ﴿ **وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ** ﴾[10].

---

(١) تيسير اللطيف المنان للسعدي، ص: [١٥٣،١٥٤].

(٢) صحيح البخاري مع الفتح، كتاب الأيمان والنذور، باب النذر فيما لا يملك وفي معصية، جـ١١، ص: [٥٩٤].

(٣) الإكليل، ص: [١٧٤]، وتفسير القاسمي، جـ١١، ص: [٤١٣٨].

(٤) أحكام القرآن للجصاص، جـ٣، ص: [٢١٧].

(٥) تفسير البحر المحيط، جـ٦، ص: [١٨٥].

(٦) هو قشير أو يسير قرشي عامري أو أنصاري على قولين. الإصابة، جـ٣، ص: [٢٢٧]، جـ٤، ص: [٦].

(٧) صحيح البخاري مع الفتح، كتاب الأيمان والنذور، باب النذر فيما لا يملك وفي معصية، جـ١١، ص: [٥٩٤].

(٨) تفسير القرطبي، جـ١١، ص: [١٠٠].

(٩) انظر: الكشاف، جـ٢، ص: [٥٠٧]، وانظر: الفخر الرازي، جـ٢١، ص: [٢٠٨].

(١٠) سورة الأعراف، الآية: [١٩٩].

الدروس والعبر

١) إنَّ للأولياء كرامات كما حصل لمريم في محرابها من الرزق[(١)].

٢) إنَّ أهل القُرْب من الله تعالى هم أهل طاعته القانتون له[(٢)] أخذاً من قوله تعالى: ﴿ **يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ** ﴾، وقوله: ﴿ **وكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ** ﴾.

٣) إنَّ الصلاة هي سُلَّم العروج إلى الملكوت الأعلى[(٣)] أخذاً من قوله تعالى: ﴿ **وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ** ﴾.

٤) إنَّ من نعمة الله على العبد أن يكون في كفالة الصالحين الأخيار[(٤)] أخذاً من قوله تعالى: ﴿ **وكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا** ﴾.

٥) إنَّ الأسباب جميعها لا تستقل بالتأثير، وإنما تأثيرها بتقدير الله[(٥)] أخذاً من قوله تعالى: ﴿ **قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ** ﴾.

٦) تواضع المؤمن مع ربه وذلك بنسبة الرزق إلى الله دون افتخار[(٦)] أخذاً من قوله تعالى: ﴿ **قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ** ﴾.

٧) فضيلة العفة والحياء[(٧)] أخذاً من ثناء الله على مريم بقوله: ﴿ **وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا** ﴾.

٨) التقوى مانعة من فعل الأذى بالناس أو إدخال الضرر عليهم[(٨)] أخذاً من قوله تعالى: ﴿ **إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّاً** ﴾.

---

(١) أيسر التفاسير للجزائري، جـ١، ص: [٢٥٨].

(٢) المرجع السابق، جـ١، ص: [٢٦٣].

(٣) المرجع السابق.

(٤) تيسير اللطيف المنان للسعدي، ص: [١٥٤].

(٥) تيسير الكريم الرحمن للسعدي، جـ٣، ص: [١٩٧].

(٦) في ظلال القرآن، جـ١، ص: [٣٩٣].

(٧) أيسر التفاسير للجزائري، جـ٣، ص: [١١].

(٨) المرجع السابق.

٩) إنَّ الـمُعْتَبَر في استحقاق الكرامة عند الله هو العمل الصالح والاعتقاد الحـق كإحصـان مريم، وتصديقها بكلمات ربها وطاعتها المعدة إياها لقبول نفخ روح الله فيها[(١)].

١٠) إنَّ احتياج النفساء إلى أكل الرطب أشد من احتياجها إلى شرب الماء لكثرة ما سـال منها من الدماء[(٢)] أخذاً من قوله تعالى: ﴿ **فَكُلِي وَاشْرَبِي** ﴾ حيث قَدَّمَ الأكل علـى الشرب.

١١) إنَّ الرطب أنفع غذاء للنفساء[(٣)] أخذاً من قوله تعالى: ﴿ **وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيّاً** ﴾ .. قال الربيع بن خيثم[(٤)]: ما للنفساء عنـدي خـير مـن الرطب لهذه الآية ولو علم الله شيئاً هو أفضل من الرطب للنفساء لأطعمـه مريـم[(٥)]، وعن عمرو ابن ميمون[(٦)]: " ليـس للنفسـاء خـير مـن الرطـب أو التمـر " [(٧)]، وعـن شقيق بن سلمة[(٨)] قال: " لو علم الله أنَّ شيئاً للنفساء خير من الرطـب لأمـر مريـم به "[(٩)].

١٢) إنَّ الفروع غالباً تكون زاكية إذا زكـت الأصـول وينكـر عليهـا إذا جـاءت خـلاف ذلك[(١٠)] أخذاً من قوله تعالى: ﴿ **يَآ أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيّاً** ﴾.

---

(١) تفسير القاسمي، جـ١٦، ص: [٥٨٧٣]، ذكره القاسمي نقلاً عن القاشاني.

(٢) تفسير الفخر الرازي، جـ٢١، ص: [٢٠٧].

(٣) تفسير القاسمي، جـ١١، ص: [٤١٣٨].

(٤) الربيع بن خيثم يكنى أبا يزيد كوفي تابعي ثقه، من خيار أصحاب عبدالله بن مسعود. تاريخ الثقات، ص: [١٥٤].

(٥) تفسير القرطبي، جـ١١، ص: [٩٦].

(٦) عمرو بن ميمون تابعي روى عن جمع من الصحابة، توفي سنة ٧٤ أو ٧٥ أول خلافة عبدالملك. صفة الصفـوة، جـ٣، ص: [٣٥].

(٧) فتح الباري، جـ٩، ص: [٤٧٨].

(٨) شقيق بن سلمى الأسدي يكنى أبا وائل الكوفي رجل ثقه مخضرم مات في خلافة عمر بن عبدالعزيز وله مائة سنة. تقريب التهذيب، ص: [٢٦٨]، وتاريخ الثقات، ص: [٢٢١].

(٩) فتح الباري، جـ٩، ص: [٤٧٨].

(١٠) تفسير البحر المحيط بتصرف يسير، جـ٦، ص: [١٨٦].

١٣) إنَّ المشروع في دفع الأذى أن يكون بالأسهل فالأسهل[1] أخذاً من قولها: ﴿ **إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنكَ** ﴾ فخوفته با لله تعالى أولاً.

١٤) إنَّ المؤمن لا يضره قذف القاذفين، واتهام الفاسقين أخذاً من ضرب المثل بمريم وهو أنها لم يضرها عند ا لله شيئاً قذف أعداء ا لله اليهود لها، ونسبتهم إياها وابنها إلى ما بَرَّأَها ا لله منه مع كونها الصِدِّيقة الكبرى المصطفاة على نساء العالمين[2].

---

(١) انظر : تفسير ابن كثير، جـ٥، ص: [٢١٤].

(٢) التفسير القيم لابن القيم، ص: [٤٩٧،٤٩٨].

المبحث السادس:

قصة أم الكافر العاق

المدخل إلى القصة

كل والد ووالدة حريص على مصلحة أبنائه وهذا أمر طبيعي ولهذا كانت وصية الله للآباء بالأبناء أقل بكثير من وصيته سبحانه للأبناء بالآباء. فمن وصايا الآباء بالأبناء قوله تعالى: ﴿ **يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ قُواْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلاَئِكَةٌ غِلاَظٌ شِدَادٌ لاَّ يَعْصُونَ اللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ** ﴾[1]، وقوله ﷺ: « **كلكم راعٍ ومسئول عن رعيته والإمام راع ومسئول عن رعيته، والرجل راعٍ في أهله ومسئول عن رعيته** »[2]. وإن أعظم الأمور التي تهم الوالدين المؤمنين في أبنائهما هو الإيمان والاستقامة، فالوالدان يوصيان الأبناء بذلك، ويحرصان عليه أشد الحرص، كما أخبر الله تعالى عن إبراهيم ويعقوب عليهما السلام في قوله سبحانه: ﴿ **وَوَصَّى بِهَآ إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ** ﴾[3] ومما ذكر الله تعالى من أخبار الوالدين كذلك خبر والدي الكافر العاق.

وقد وردت قصتهما معه في موضع واحد من كتاب الله العزيز:

قال تعالى: ﴿ **وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِن قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَـذَآ إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ** ﴾[4].

---

(١) سورة التحريم، الآية: [٦].

(٢) صحيح البخاري مع الفتح، كتاب الوصايا، باب تأويل قوله تعالى: ﴿ من بعد وصية يوصى به أو دين ﴾، جـ٥، ص: [٤٤٤].

(٣) سورة البقرة، الآية: [١٣٢].

(٤) سورة الأحقاف، الآية: [١٧].

معاني مفردات آيات القصة

أُفٍّ لَّكُمَآ: أصل الأف كل مستقذر من وسخ وقلامة ظفر وما يجري مجراهما[1] والمراد صوت يصدر عن المرء عند تضجره، واللام لبيان المؤفف له وهما الوالدان[2] ومعنى أُف أي قذراً لكما ونتناً[3].

خَلَتِ: أي مضت[4].

الْقُرُونُ: جمع قرن والمراد به هنا القوم المقترنون في زمن واحد[5].

يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ: يطلبان الغوث أي النصر[6] والمعنى يدعوان له بالهدى[7].

وَيْلَكَ: الويل هو الثبور والهلاك وليس المراد به الدعاء عليه بل الحث له على الإيمان[8].

التعريف بالمرأة

لم يثبت في تعيين أم الكافر العاق خبر صحيح، والظاهر أن الآية نزلت في شخص كافر معيَّن ووالديه المؤمنين[9]. ويدل على هذا ما رواه البخاري بسنده قال كان مروان على الحجاز استعمله معاوية فخطب فجعل يذكر يزيد بن معاوية لكي يبايع له بعد أبيه فقال له عبدالرحمن بن أبي بكر شيئاً فقال: خذوه، فدخل بيت عائشة فلم يقدروا عليه، فقال مروان: إن هذا الذي أنزل الله فيه: ﴿ **وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِي** ﴾ فقالت عائشة من وراء الحجاب: ما أنزل الله فينا شيئاً من القرآن إلا أن الله أنزل

---

(١) المفردات، ص: [١٩].

(٢) تفسير أبي السعود، جـ٨، ص: [٨٣].

(٣) تفسير الطبري، جـ٢٦، ص: [١٩].

(٤) تفسير الطبري، جـ٢٦، ص: [١٩]، والتسهيل لابن جزي، جـ٤، ص: [٤٣].

(٥) المفردات للراغب، ص: [٤٠١].

(٦) المصدر السابق، ص: [٣٦٧].

(٧) تذكرة الأريب لابن الجوزي، جـ٢، ص: [١٥٧]، وانظر: تفسير الطبري، جـ٢٦، ص: [١٩].

(٨) انظر: تفسير البحر المحيط، جـ٨، ص: [٦٢]، وفتح القدير، جـ٥، ص: [٢٠]، وتفسير أبي السعود، جـ٨، ص: [٨٤].

(٩) تفسير الطبري، جـ٢٦، ص: [١٩]، وتفسير البغوي، جـ٤، ص: [١٦٨].

عذري[1]، وفي رواية فقالت عائشة: كذب والله ما نزلت فيه، وفي رواية والله ما أُنزلت إلا في فلان ابن فلان الفلاني، وفي رواية لو شئت أن أسميه لسميته[2]، فدلَّ قول عائشة رضي الله عنها على أنَّ الآية نزلت في شخصٍ معيَّن ووالديه ولم تُفصح عن اسمه، ولم أقف على بيان ذلك والله تعالى أعلم.

عرض القصة

في هذه الآية الكريمة يذكر الله تعالى لنا قصة الوالدين المؤمنين مع ابنهما الكافر العاق وقد كانا يدعوانه إلى الإيمان ويحثانه عليه ويذكِّرانه بالله ﷻ في قولهما له: ﴿ **وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ** ﴾ ويسألان الله ﷻ له الهداية ومع هذا النصح والإحسان يقابله الابن بالكفر والعقوق[3] والطغيان ويتلفظ ببذيء الكلام يقول لهما: كلمة أُف التي هي بعيدة كل البعد عن المعروف[4]، فهي وإن كانت سهلة النطق قليلة الحروف لكنها عند الله ﷻ عظيمة لا تليق بأصحاب الفطرة السليمة، والأخلاق المستقيمة، والوفاء لأولي الفضل ثم يكذبهما ويخطئهما في حقيقة البعث بقوله: ﴿ **مَا هَـٰذَآ إِلَّآ أَسَـٰطِيرُ الْأَوَّلِينَ** ﴾[5] فاستحقَّ بذلك من الله ﷻ العذاب الأليم، فإن الجزاء من جنس العمل.

الأحكام المستفادة من القصة

١) حرمة عقوق الوالدين وأنه من الكبائر[6]، ويؤخذ هذا من قوله تعالى: ﴿ **وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ** ﴾ ثم قال: ﴿ **أُولَـٰئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ** ﴾[7] أي العذاب[8]، وكما في قوله ﷻ: ﴿ **وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ**

---

(١) صحيح البخاري مع الفتح، كتاب التفسير، باب والذي قال لوالديه (أُفٍ لكما ... الآية)، جـ٨، ص: [٤٣٩].

(٢) فتح الباري، جـ٨، ص: [٤٤٠].

(٣) عقَّ الولد أباه عقوقاً من باب قَعَد إذا عصاه وترك الإحسان إليه فهو عاق. المصباح المنير، ص: [٤٢٢].

(٤) انظر: تيسير الكريم الرحمن للسعدي، جـ٥، ص: [١٣].

(٥) انظر: في ظلال القرآن، جـ٦، ص: [٣٢٦٣].

(٦) أيسر التفاسير للجزائري، جـ٤، ص: [٢٣٣].

(٧) سورة الأحقاف، الآية: [١٨].

(٨) انظر: تفسير الطبري، جـ٢٦، ص: [٢٠].

إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً﴾[1].

٢) وجوب التأدب في خطاب الوالدين أخذاً من مفهوم الوعيد السابق وكما في قوله تعالى: ﴿ وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً ﴾.

٣) كُفْر من أنكر البعث أخذاً من قوله تعالى عن الابن: ﴿ أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِن قَبْلِي ﴾ وقول الوالدين له: ﴿ وَيْلَكَ ءَامِنْ ﴾.

٤) وجوب الإيمان بالبعث أخذاً من قول الوالدين لابنهما الذي كفر بالبعث: ﴿ وَيْلَكَ ءَامِنْ ﴾.

الدروس والعبر

١) إن التأفف للوالدين من خصال الكفر أخذاً من قول ا لله تعالى عن الابن الكافر: ﴿ وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ ﴾.

٢) تحذير الأولاد ممّا يضرهم ولا سيما الكفر با لله ﷻ، أخذاً من قول الوالدين: ﴿ وَيْلَكَ ءَامِنْ ﴾.

٣) إنَّ على العبد أن يستغيث با لله ﷻ وحده عند الشدائد أخذاً من قوله تعالى في دعوة الوالدين ولدهما إلى الإيمان وصد الولد عنهما وهما يستغيثان ا لله؛ فإنَّ الهداية والتوفيق بيد ا لله ﷻ.

٤) حرص الوالدين على الأولاد وسعيهما في نفعهم وإن كانوا عاقين[2]، أخذاً من قوله تعالى عن الوالدين مع ابنهما العاق: ﴿ وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ ﴾.

٥) أهمية الدعوة إلى الإيمان بالبعث وأنه هو الدافع إلى العمل أخذاً من قوله تعالى عن الولد: ﴿ أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِن قَبْلِي ﴾، ودعوة الوالدين له ويلك آمن ولهذا نجد في القرآن كثيراً ما يقترن الإيمان با لله بالإيمان باليوم الآخر خصوصاً من بين سائر أركان الإيمان.

---

(١) سورة الإسراء، الآية: [٢٣].

(٢) انظر: أيسر التفاسير للجزائري، جـ٤، ص: [٢٣٣]، وانظر: التفسير الواضح لمحمود حجازي، جـ٢٦، ص: [١١].

٦) إنَّ الله تعالى يُعامل عباده بِنِيَّاتهم، فقد يتلفظ المرء بكلمة لا يقصد معناها ككلمة ويلك فإن المراد منها يُعلم بالمناسبة، فقد لا يُراد حقيقة معناها وإنما يُراد بها أمر آخر كما هو في قول الوالدين: ﴿ وَيْلَكَ ءَامِنْ ﴾ وقد تقدم معناه ومثله كلمة تربت يداك[١]، ثكلتك أمك[٢] .... إلخ.

٧) إنَّ المحروم لا ينفعه نصح ناصح ولا حرص حريص[٣] أخذاً من قوله تعالى عن الوالدين: ﴿ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ﴾ ورد الابن بقوله: ﴿ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ وقال تعالى في آية أخرى: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ ﴾[٤].

٨) سوء عاقبة الكِبْر[٥] فلما تكبر الولد و لم يقبل الحق الذي دعاه إليه والداه حقَّت عليه كلمة العذاب وقال تعالى في آية أخرى: ﴿ ... إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾[٦] وقال ﷺ: « **لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر، قال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسنةً قال: إن الله جميل يحب الجمال، الكِبر بطر الحق[٧] وغمط[٨] الناس** »[٩].

٩) لا يلزم أن يُعطى الداعي مسألته بعينها فإن الله لم يَهْدِ الابن باستغاثة الوالدين الله ﷻ وقد قال ﷺ: « **ما من مسلمٍ يدعو بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه**

---

(١) أي لصقت بالتراب من الفقر وهذه الكلمة جارية على ألسنة العرب لا يريدون بها الدعاء على المخاطب ولا وقوع الأمر به. النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، جـ١، ص: [١٨٤].

(٢) أي فقدتك. النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، جـ١، ص: [٢١٧].

(٣) انظر: التفسير الواضح لمحمود حجازي، جـ٢٦، ص: [١١].

(٤) سورة القصص، الآية: [٥٦].

(٥) أيسر التفاسير للجزائري، جـ٤، ص: [٢٣٣].

(٦) سورة غافر، الآية: [٦٠].

(٧) أي عدم قبوله. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، جـ١، ص: [١٣٥].

(٨) أي احتقار واستهانة. النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، جـ٣، ص: [٣٨٧].

(٩) صحيح مسلم، كتاب الأيمان والنذور، باب تحريم الكِبْر وبيانه، جـ١، ص: [٩٣].

ا لله بها إحدى ثلاث: إما أن تعجل له دعوته، وإما أن يدخرها له في الآخرة، وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها »[1].

١٠) صدق وعد ا لله ﷻ أخذاً من قوله: ﴿ **إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ** ﴾ ثم قال تعالى: ﴿ **أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ** ﴾.

---

(١) مسند الإمام أحمد، جـ٣، ص: [١٨]، والمستدرك، جـ١، ص: [٤٩٣]، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.